■ وباء الخنازير .... والحكمة الإلهية !!

مسابقة
الشيخ / صفوت نور الدين

مجلة ■ إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية



العدد ٤٥٠ - السنة الثامنة والثلاثون - جمادى الآخرة ١٤٣٠ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

كلمات مضيئة في العفو والتجاوز

قصة الخنزير في سفينة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكر

"السلام عليكم"

حراسة العقيدة

ينبغي أن يقف علماء الإسلام ورموزه لحراسة ثوابت الشريعة بعين يقظة تبيت تحرس في سبيل الله، ويراقبوا بحرص وحذر كل شاذة وفاذة يضربونها في مهدها بسيوف الحجة القاطعة، والبراهين الساطعة، كيلا يقول متقول، ويصول ويجول متسول، ويدعي العلمَ جاهلٌ متأول. ويخرج من ينكر الأحاديث الصحيحة، ويخالف القواعد الشرعية الصريحة، ويُلقي على الناس زبالات الأذهان، ويبث فيهم أفكار الجهل والبهتان، فيتهكم على خيار الصحابة، ويجرح علماء السلف ويوهن أقوالهم وما اجتمعوا عليه.

فعلى أهل العلم ممن أعطاهم الله علمًا وسيادة، وتمكينًا وريادة أن يدرءوا الفتن في مهدها، ويجتهدوا في منعها ووأدها، حتى لا يلتبس على العوام أمرهم، ويستوي في الناس فاجرهم وبَرُّهم ؛ فعندها يكون العلماء مصابيح في الدُّجَى، ومنارات للهدى، وإلا: فالسكوت علامة الرضا!!

التحرير

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبدالعظيم بدوي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني محمد

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

نقدم للقارئ كرتونة كاملة
تحتوي على ٣٧ مجلداً من مجلدات
مجلة التوحيد عن ٣٧ سنة كاملة

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

السنة الثامنة والثلاثون
العدد ٤٥٠ جمادى الآخرة ١٤٣٠ هـ

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

"في هذا العدد"

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM

٦٨٠ جنيهاً للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٢٣٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

افتتاحية العدد

كلمات مضيئة في العفو والتجاوز

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالعفو خلق إسلامي أصيل دعا إليه القرآن الكريم، وحث عليه النبي - عليه الصلاة والسلام -، وطبقه تطبيقًا عمليًا في حياته. وأصل العفو: المحو والطمس، ويطلق في اللغة على خالص الشيء وجيده، وعلى الفضل الزائد فيه أو منه، وعلى السهل الذي لا كلفة فيه، وعلى ما يأتي بدون طلب أو بدون إحفاء ومبالغة في الطلب(١).

وقد عرّف الكفوي العفو اصطلاحًا فقال: «كف الضرر مع القدرة عليه، وكل من كان له حق في عقوبة فتركها فهذا الترك عفو»(٢).

ومن أسماء الله الحسنى «العَفُوُّ» وهو فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وهو من أبنية المبالغة، يقال: عفا يعفو عفوًا فهو عاف وعفُوٌّ»(٣).

وقد سمَّى الله نفسه بهذا الاسم في مواطن، منها قوله تعالى: «إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا» [النساء: ١٤٩]، والمعنى: إن تظهروا أيها الناس خيرًا، أو أخفيتموه، أو عفوتم عمن أساء إليكم، فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه، فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته عليهم، ولهذا قال: «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا»(٤).

ومن أفضل ما يتوجه به العبد إلى ربه في أكثر ليالي من الخير أن يسأل ربه العفو، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أيُّ ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني». رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: «حديث صحيح»(٥).

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئًا أسأله الله، قال: «سل الله العافية»، فمكثت أيامًا، ثم جئت فقلت: يا رسول الله، علمني شيئًا أسأله الله؟ فقال لي: «يا عباس يا عم رسول الله، سل الله العافية في الدنيا والآخرة». رواه الترمذي وقال: «هذا حديث صحيح»(٦). وقال الشيخ الألباني: صحيح(٧).

قال المباركفوري - رحمه الله -: «في أمره ﷺ للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأن يعلمه شيئًا يسأل الله به، دليل جلي بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية، ولا يقوم مقامه شيء من الكلام الذي يدعى به ذو الجلال والإكرام، وقد تقدم تحقيق معنى العافية أنها دفاع الله عن العبد، فالداعي بها قد سأل ربه دفاعه عنه في كل ما ينوبه، وقد كان ﷺ ينزل عمه العباس منزلة أبيه، ويرى له من الحق ما يرى الولد لوالده، ففي تخصيصه بهذا الدعاء وقصره على مجرد الدعاء بالعافية تحريك لهمم الراغبين على ملازمته، وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم سبحانه وتعالى، ويستدفعون به كل ما

يهمهم، ثم كلمه ﷺ بقوله: «سل الله العافية في الدنيا والآخرة»، فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عدة لدفع كل ضر وجلب كل خير، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا. قال الجزري في -«عدة الحصن الحصين»-: لقد تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية وورد عنه ﷺ لفظًا ومعنى من نحو خمسين طريقًا»(٨).

وقد أعلم الله تعالى نبيه ﷺ أنه عفا عنه فيما تعلق به اجتهاده حين استأذنه المنافقون - ولم يكن لهم عذر - في التخلف عن غزوة تبوك، قال تعالى: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ» [التوبة: ٤٣]، كما أمر الله النبي ﷺ بالعفو والتجاوز، قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» [آل عمران: ١٥٩].

قال ابن كثير في تفسيره للآية: «يقول تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ ممتنًا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ»، أي: أيُّ شيء جعلك الله لهم لينا لولا رحمة الله بك وبهم..، وقال الحسن البصري: هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به»(٩).

وقال بعض المفسرين عن هذه الآية: «ثمرة الآية وجوب التمسك بمكارم الأخلاق وخصوصًا لمن يدعو إلى الله تعالى ويأمر بالمعروف»(١٠).

ومن أجمل الصفات التي كان عليها النبي ﷺ أنه كان لا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، وقد ذكر وعرف بذلك في الكتب السابقة، ففي البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية في القرآن: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» قال في التوراة: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا»(١١).

وكان النبي ﷺ كثيرًا ما يسأل ربه العفو والعافية ؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي»(١٢).

ومعنى قول الراوي: لم يكن رسول الله ﷺ يدع، أي: يترك، وسؤال الله العافية معناه: السلامة من الآفات، والعفو أي: التجاوز عن السيئات، وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة في الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا

من أجمل الصفات التي كان عليها النبي ﷺ أنه كان لا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، وقد عُرف وذُكر بذلك في الكتب السابقة، والسلامة من الآفات والعفو عن السيئات ويعوذ برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته

أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»(١٣).

قال الخطابي في معنى هذا الحديث: «في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى سأل النبي £ ربه أن يجيره من سخطه وبمعافاته من عقوبته، والرضا والسخط متقابلان وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ما لا ضد له وهو الله سبحانه استعاذ به منه لا غير، ومعناه: الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب في حق عبادته والثناء عليه»(١٤).

وكان النبي £ يسأل ربه في صلاة الجنازة أن يعفو عن الميت، فعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: صلى رسول الله £ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مُدْخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار»(١٥).

سأل النبي £ ربه أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته، والرضا والسخط متقابلان وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ما لا ضد له وهو الله سبحانه استعاذ به منه لا غير

وكما كان رسول الله £ يطلب العفو من ربه كان يحث أصحابه على ذلك أيضًا، كما في مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة رضي الله عنها: «اللهم متعني بزوجي رسول الله £ وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله £ : «إنك سألت الله لآجال مضروبة، وآثار مَوْطُوءَة، وأرزاق مقسومة، لا يُعَجِّل منها شيئًا قبل حله، ولا يؤخِّر منها شيئًا بعد حله، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار، وعذاب في القبر لكان خيرًا لك»(١٦).

ومن سمات المتقين الموعودين بالغفران من ربهم وجنات النعيم العفو عن الناس، قال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، وفي الآية الثانية إشارة إلى أن كظم الغيظ وحده لا يكفي، فقد يكظم الإنسان غيظه ليتحول إلى حقد دفين في قلبه، بل لابد من العفو والتجاوز، وهذا هو شأن المحسنين الذين يحبهم رب العالمين.

قال رشيد رضا في تفسيره للآية: «العفو عن الناس هو التجافي عن ذنب المذنب منهم، وترك مؤاخذته مع القدرة عليها، وتلك مرتبة في ضبط النفس والحكم عليها وكرم المعاملة، قلَّ من يتبوأها، فالعفو مرتبة فوق مرتبة كظم الغيظ، إذ ربما يكظم المرء غيظه على حقد ودفينة»(١٧).

وقد ضرب النبي £ وأصحابه أروع الأمثلة في العفو والتسامح، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كأني أنظر إلى النبي £ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه فأدْمَوْه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

قال ابن حجر في «الفتح»: «يحتمل أن ذلك لما وقع للنبي £ ذكر لأصحابه أنه وقع لنبي آخر قبله، وذلك فيما وقع له يوم أحد لما شج وجهه وجرى الدم منه، فاستحضر في تلك الحالة قصة ذلك النبي

الذي كان قبله، فذكر قصته تطييبًا لقلوبهم»(١٩).
وعن معاذ بن رفاعة قال: «قام أبو بكر الصديق على المنبر، ثم بكى، فقال: قام رسول الله £ عام الأول على المنبر، ثم بكى فقال: سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية»(٢٠).
ومعنى قوله في الحديث «عام الأول» يعني الأول من الهجرة، وقيل في تعليل بكائه £ : أنه بكى لما علم وقوع أمته في الفتن والشهوة، والحرص على جمع المال وتحصيل الجاه، فأمرهم £ بطلب العفو والعافية ليعصموا من الفتن، وقد يظن ظان أن العفو فيه مذلة، أو ضعف شخصية ومهانة، والأمر ليس كذلك، بل العفو من شيم الكرام القادرين، وليس من شيم العاجزين. ورب العالمين لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومع ذلك فهو يعفو ويصفح. وبوَّب البخاري بابًا في صحيحه قال فيه: «باب الانتصار من الظالم بقوله جل ذكره: «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا»، ويقول تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ». قال إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون أن يُسْتَذَلُّوا، فإذا قدروا عفوا»(٢١).
نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل العفو والفضل، وأن يعفو عنا بمنه وكرمه.

الهوامش:

١- انظر في ذلك لسان العرب لابن منظور ج١٥ / ٧٢، وتفسير المنار ج٩ / ٥٣٣.
٢- الكليات للكفوي ص٥٣.
٣- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج٣ / ٢٦٥.
٤- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ج١ / ٧٨٥.
٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج١٠ / ٤٩٥.
٦- المرجع السابق ج١٠ / ٤٩٦.
٧- انظر صحيح سنن الترمذي ج٣ / ١٧٠.
٦- المرجع السابق ج١٠ / ٤٩٦.
٧- انظر صحيح سنن الترمذي ج٣ / ١٧٠.
٨- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج١٠ / ٤٩٦.
٩- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ج١ / ٥٧٥.
١٠- محاسن التأويل للقاسمي ج٤ / ١٠٢٣.
١١- البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، تفسير سورة الفتح باب ٣ ج٨ / ٥٨٥.
١٢- رواه أبو داود في سننه في أبواب النوم باب ١١٠، وقال الألباني: صحيح. انظر صحيح سنن أبي داود ج٣ / ٩٥٧، وهو كذلك عند ابن ماجه، كما أخرجه الحاكم في المستدرك ج١ / ٥١٧.
١٣- صحيح مسلم، كتاب الصلاة باب ٤٢ جـ١ / ٣٥٢.
١٤- شرح النووي على مسلم ج٤ / ٢٠٤.
١٥- صحيح مسلم، كتاب الجنائز باب ٢٦ جـ٢ / ٦٦٣.
١٦- صحيح مسلم، كتاب القدر.
١٧- تفسير المنار ج٤ / ١٣٥.
١٨- البخاري مع الفتح كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٤ جـ٦ / ٥١٤.
١٩- فتح الباري جـ٦ / ٥٢١.
٢٠- أخرجه الترمذي وغيره، وقال الألباني: حسن صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي ج٣ / ١٨٠.
٢١- البخاري مع الفتح، كتاب المظالم باب ٦ جـ٥ / ٩٩.

بكى النبي £ لما علم بوقوع أمته في الفتن والشهوة والحرص على جمع المال وتحصيل الجاه، فأمرهم £ بطلب العفو والعافية ليعصموا من الفتن، وقد يظن ظان أن العفو فيه مذلة أو ضعف شخصية ومهانة والأمر ليس كذلك



وباء الخنازير.. والحكمة الإلهية !!

بقلم رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وبعد:

فالإسلام دين الحق ولو كره الكافرون.. دينٌ نزل به الروح الأمين، على خير المرسلين.. لا ريب فيه من رب العالمين، هدى للمتقين وحجةً على الخلق أجمعين، فيه صلاح الدنيا والدين، وقيام مصالح العباد، وبه نجاتهم في الآخرة وفوزُهم في المعاد، دينُ الروح والجسد، ومنهج الفرد والجماعة، وسبيلُ الكمال في كل مجال، ما سبق عالمٍ إلى اكتشافٍ، ولا توصل خبير إلى اختراع، إلَّا في الكتاب والسنَّة ما يدلُّ عليه أَوْ يُغْني عنه، وحينَ يَنْزلُ في الكتاب أو تأتي السنَّةُ بتحريم أمرٍ ما، مأكولاً كان أو مَشْرُوبًا، أو مَلْبُوسًا أو مركوبًا، فإنما هو حكمٌ مُحكم من لَدُنْ حكيم عليم، «أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [الملك: ١٤].

وكَمْ من مُحَرَّم نَزَلَ تحريمُهُ قَبْل ألف وأربعمائة سنةً، فلم يَكْتشف العَالَمُ ما فيه مِنْ أضرار جَسيمةٍ ونتائج وخيمة إلَّا في عَصْر المعَامل المُتخصصَّة، والأجْهزة المُتقدِّمَة، وبواسطة المجاهر الدقيقة والآلات الفاحصة.

القانون الإسلامي من لدن عليم خبير

لم يَكَدْ العالم الغربي يَنْتَبه بعد من إقراره بأن الربا هو المسئول الرئيس عن الكارثة المالية التي حلَّتْ به وبالعالم من حَوْلِه، حتى وَجَدَ نفسه أمام كارثةٍ جديدة تتعلق ببقائه وحياته، وباء ينتشر كالنار في الهشيم سببهُ الخنازير، فيفزعون لذلك ويَضجُّون، ويتخذون التدابير الواقية ويَحذَرونَ، ويفرُّ بعضهُم من بلادهم خوفًا وينفرون، وقد كُنَّا نحن المسلمين على دراية لا مرية فيها بأن أولئك المعرضين عن أمر ربهم، والواقعين فيما نهاهُم عنه، والمتعمِّدين لما حَرَمَّهُ عليهم ستُصيبهم بما صنعوا قَارعةٌ أو تَحلُّ قريبًا ديارهم، نقولُ ذلك لمَا جَاءَنا في كتاب ربنا وسُنَّة نبيِّنَا، وأجمع عليه المسلمون من تحريم لَحْم الخنزير، قال الله عز وجل: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [البقرة: ١٧٣].

وقال جلَّ وعلا: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ

غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [المائدة: ٣].

وإذا كانت الميتة أو المتردية أو النطيحةُ ونحوها مما ذكر في هذه الآيات من الدم المسفوح وما أكَلَ السبُع وما أُهلَّ به لغير الله قد حُرِّمَتْ لعلل عارضة عليها، فإن لحم الخنزير قد انفرد من بينها بأنه مُحرَّم لذاته، ومنهي عنه لعلة مستقرَّة فيه، ووصف لاصق به، ذلك أنه رجسٌ نَجسٌ خبيثٌ قذرٌ، لا خير فيه ولا مَنْفَعَةٍ ولا بركة، بل كُلّه شرٌّ وضرٌ وداءٌ وبيلٌ ومرضٌ وخيمٌ.

الخنزير مرتع خصيب لـ ٤٥٠ مرضًا

ومع اشتداد كارثة ما سَمَّوه بأنفلونزا الخنازير حيث بلغ عدد الوفيات من البشر - حتى كتابة هذه السطور - ما تخطى الألف في البلاد التي ابتُليَتْ بهذا الوباء المدمِّرْ، والآلاف ممن أصيبوا بالمرض تحت الرعاية الصحية نجد أن من رحمة الله عز وجل بعباده وإحسانه إليهم أنه آواهم وكفاهم، وأمدهم بما يَنفعُهُم، ومنعهم مما يضُرّهم، ورزقهم عقولاً يدركون بها الخير والشر والنفع والضر، وأنزل عليهم الشرائع لهدايتهم في شئونهم الدينية والدنيوية.

وقد ثبت في أبحاث الغربيين الطبية أن الخنزير مرتعٌ خصب لأكثر من أربعمائة وخمسين مرضًا وبائيًا، وهو يقوم بمهمة الوسيط في نقل سبعةٍ وخمسين منها إلى الإنسان، ولكن علوهم يجعلهم يكابرون ولو ضروا أنفسهم.

إن الشيطان ليغزو الإنسان من شهوات البطن والفرج، وهي أكثر شيء يغزو الشيطان به بني آدم، وطريقة الشيطان في السيطرة على بني آدم وجرِّه إلى الرذيلة، ومعصية الخالق - عز وجل - هي أخذهم إليها بالتدرج خطوة خطوة حتى يصل الآدمي للمعصية الكبرى، ولذا حذر الله تعالى من اتباع خطوات الشيطان، وكرر ذلك في أربعة مواضع من القرآن؛ موضعٌ منها يتعلق بالسلم والحرب، وموضعان في سياق ذلك المأكل والمشرب: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» [البقرة: ١٦٨]، وفي الموضع الآخر قال جل شأنه: «كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» [الأنعام: ١٤٢]، وفي موضع آخر قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» [النور: ٢١].

ومعلومٌ أن شهوة ملء البطن بالطعام تتكرر أكثر من شهوة الفرج، والمرء يصبر على ترك النكاح ما لا يصبر على ترك الطعام والشراب، فمظنة الوقوع في إثم إشباع البطن بالمحرم أكثر من مظنة الوقوع في إثم إشباع الفرج بالحرام، ولذا كان التحذير في القرآن من خطوات الشيطان في شهوات ملء البطن على الضعف منها في الفرج.

والخنزير مخلوق بغيضٌ قبيح خبيث، ابتلى الله تعالى به البشر، وحرَّمه عليهم تحريمًا شديدًا، قال تعالى: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ» [البقرة: ١٧٣].

وقال تعالى: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ» [النحل: ١١٥].

وقبل اثنتين وأربعين سنة انتشر هذا الفيروس في الصين، فقتل مليون شخص في مختلف أنحاء العالم، وفي تاريخ أسبانيا ذكر فيروس للإنفلونزا صدر من ديارهم، فقتل على وجه البسيطة ما يقرب من مائة مليون إنسان قبل تسعين سنة، ولذلك فزعوا وهاجوا وماجوا لمعرفتهم بعواقب انتشار فيروس انفلونزا الخنازير في الناس.

طاعون العصر لو انتشر لأباد وأفنى

وشهد شاهدٌ من أهلها.. وربُّ العباد قدير عليم فلا تخافوا على الإسلام، بل

أثبتت أبحاث الغربيين الطبية أن الخنزير مرتعٌ خصب لأكثر من أربعمائة وخمسين مرضًا وبائيًا، وهو يقوم بمهمة الوسيط في نقل سبعةٍ وخمسين منها إلى الإنسان، فهل من مدكر!!

خافوا على أنفسكم.

إن انتفاع تجار الخنازير ببيعها يدفعهم لأَسْر البسطاء من الناس بالدعايات لمتاجرتهم الخبيثة، والآن يجنون ثمار هذا الاستكبار ويجرون البشرية معهم إلى هُوَّة سحيقة لا يعلم مداها إلاَّ الله تعالى، ذلك أن وباء الخنازير لو انتشر لكان طاعون العصر، نسأل الله تعالى العافية والسلامة.

وها نحن قد تابعنا من خلال وكالات الأنباء والفضائيات والتقارير أن منظمة الصحة العالمية قد قررت رفع حالة التأهب لمواجهة هذا الوباء إلى الدرجة الخامسة، وهي الدرجة التي تسبق حالة الوباء العالمي!!

وقد رأينا في مصر الإجراءات التي اتخذت من قِبل الحكومة لمنع دخول الوباء إلى مصر وذلك بالتخلص من الخنازير الموجودة في مصر والقضاء على مواقع تواجدها الموبوءة حرصًا على حياة المواطنين من أبناء مصر.

عجز البشرية أمام جنود الله!!

إن الأمراض المتلاحقة والتي تصيب البشرية جمعاء بالرعب من جنونٍ البقر، وانفلونزا الطيور، وانفلونزا الخنازير لتدل على عجزهم وضعفهم أمام قدرة الرب جل وعلا، «وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» [الفتح: ٧]، «لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» [الطلاق: ١٢]، «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ» [المدثر: ٣١]، كما تدل على استنكاف البشر عن شريعة الله تعالى هو الهلاك في العاجل والآجل، وأن الله تعالى لا يظلم عباده بل يجازيهم بأعمالهم، «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» [يونس: ٤٤]، «ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ» [سبأ: ١٧].

وقد بغى المستكبرون في الأرض على شريعة الله، وحاربوا المستمسكين بها، وحاولوا صرف الناس عنها، وسكتت بقية البشر على ظلمهم وبغيهم، إلاَّ من رحم الله تعالى.

تحريم الخنزير في السنة النبوية

وإذا كان القرآن الكريم قد جاء بتحريم لحم الخنزير تحريمًا قطعيًا، فإن السنة النبوية المطهرة قد دلت على تحريم أكله وبيعه والاستفادة من أي جزء منه، حتى لو حُوِّلَ إلى شيء آخر ؛ من ذلك ما رواه مُسلمٌ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «إن الله ورسوله حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام». فقيل: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة فإنه يُطْلى بها السُفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس، فقال: «لا، هو حرام». ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «قاتل الله اليهود ؛ إن الله عز وجل لما حَرَّم عليهم شحومها جملوه ثم باعُوهُ فأكلُوه ثمنهُ».

ومما جاء في بيان هذا الحيوان وشناعته وقذارته ما صح عنه ﷺ أنه قال: «من لَعِبَ بالنَّردشَير فكأنما صبغ يَدَهُ في لحم خنزير وَدَمَهُ». وفي هذا تشبيه لِلَّعِبِ بالنردشير بغمس اليد في لحم الخنزير ودمه، بجامع القبح في كلا الأمرين.

وقد أجمع علماء الأمة على تحريم لحم الخنزير، بل وأفتوا بتحريم أجزائه كُلها لما نَصَّتْ عليه الآيات من تحريم لحمه على جهة القطع، وَبَيَنَّتْ علة ذلك بأنها نجاسَتُهُ وخُبثُهُ، وقد نص الله تعالى في كتابه الكريم على تحريم الخبائث وتجنبها، ولما كانت النصارى تتقول على عيسى وتأكل الخنزير زعمًا بأنه قد أحلَّهُ لهم، جاء تكذيبهم على لسان الصادق الأمين ﷺ، حيث قال: «والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مُقسطًا، فيكسر الصَّليب، ويقتل الخنزير، ويَضعُ الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد».

قال ابن حجر رحمه الله: قولُهُ: «ويَقْتُلُ الخنزير» أي: يأمُرُ بإعدامه مبالغةً



إن الأمراض المتلاحقة والتي تصيب البشرية جمعاء بالرعب من جنون البقر وإنفلونزا الطيور وإنفلونزا الخنازير لتدل على عجزهم وضعفهم أمام قدرة المقتدر وجنود رب العالمين





في تحريم أكله، وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين يدَّعون أنهم على طريقة عيسى ثم يستحلُّون أكل الخنزير ويبالغون في محبته. اهـ.

وقد تطابقت نتائج أبحاث العلماء مع ما في القرآن والسنة، فإن ذلك يؤكد وبكل وضوح وجلاء أن شريعة الإسلام وحيٌ رباني كريم، وأنها صالحة لكل زمان ومكان وحالٍ، ولقد أثبتت الأبحاث العلمية والدراسات الطبية أن الخنزير من بين سائر الحيوانات يُعَدُّ أكبر مستودع لما يضرُّ جسم الإنسان، وإنه ينشأ عن أكل لحمه أمراض وأدواء لا تحصى كثرةً وتنوعًا وضررًا، وهي أضرارٌ دالة على أن الشارع الحكيم لم يحرم لَحم الخنزير إلاَّ لِحَكَمٍ جَليلةٍ وأسرارٍ عظيمة تعود كلها إلى الحفاظ على النفس البشرية المكرمة، والتي جعل الإسلام الحفاظ عليها أحد الضروريات الخمس التي جاء بحفظها.

فالله سبحانه يُظهر إبداع الخلق في قوله سبحانه وتعالى: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» [فصلت: ٥٤]، تبيانًا وتوضيحًا وتأكيدًا وإقرارًا على أن الله تعالى ما حرم شيئًا إلاَّ لدفع مفسدة عظيمة، وما أحل شيئًا إلاَّ لجلب منفعة، وهذا يتضحُ جليًا حتى لغير المسلمين، فالله تعالى حرَّم الخنزير وعدَّه من الخبائث، فلا يُسْتَغْرَبُ أن يجلب الخنزير مثل هذه الأوبئة والأمراض... واللهُ ناصرٌ دينه ولو كره الكافرون!!

استقبال البابا في الديار العربية، إهانة لكل مسلم

في عام ٢٠٠٦م هاجم بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر الإسلام والرسول الكريم ﷺ والمسلمين، واستشاط المسلمون غضبًا من محاضرته التي ألقاها في جامعة ريسنبرج الألمانية.

ومع المطالبة الإسلامية المتصاعدة باعتذار البابا عن تلك الإساءة التي وجهها لديننا ونبينا، إلاَّ أنه أبى أن يعتذر عما قاله، واكتفى في بيان تلاه مسئول في الفاتيكان بقوله: إنه لم يكن يريد إيذاء مشاعر المسلمين.

وخلال زيارته للمملكة العربية الأردنية في الأيام الماضية في مستهل جولته التي شملت كلاً من فلسطين وإسرائيل، طالبت قوى إسلامية عديدة أن يقدم البابا اعتذارًا رسميًا للمسلمين، لكنه لم يفعل أيضًا، ومع أن ديننا وقيمنا يأمران بإكرام الضيف، وحُسْن استقباله، إلاَّ أن الإصرار على عدم اعتذار البابا عن إساءته لنا ولديننا يدعو إلى التساؤل: هل نستقبل من أساء لنا ولديننا ولرسولنا ﷺ بالمودة والحفاوة والترحيب وهو يصر على عدم اعتذاره للمسلمين ؛ بل إنه عد تنصير البشرية قضية حياة أو موت ؛ وها هو يزور المنطقة في شهر مايو، وهو الشهر الذي صدر فيه وعد بلفور الشهير، حيث يزور إسرائيل ليشاركهم احتفالاتهم وأعيادهم، ويعتبر تأكيده على المحارق النازية بحق اليهود، وأنها حقيقية لا يستطيع أحدٌ أن يشكك فيها، ولم ينظر إلى محرقة غزة، ولم يقل في حقها شيئًا، ولا نجد مبررًا لاستقباله في ديار الإسلام.

وإنني لأعجب أشد العجب من فتح أبواب مساجد الأردن أمام بابا الفاتيكان، ليطأها بحذائه، وأن ذلك يُعد من باب الترخص المرفوض في حقوق ومقدسات المسلمين، ومع ذلك فلسنا في حاجة إلى اعتذار البابا، فاعتذاره لن يُقدم ولن يؤخر على ما حفر في قلوب ونفوس المسلمين في كل مكان، فهذا الباب عندما جاء إلى المنطقة كان له هدف واحد ؛ هو تقديم الولاء لإسرائيل، ولذلك كان استقباله في الديار العربية إهانة لكل مسلم.. الحديث ذو شجون، لكن المقام يقتضي الإيجاز، فنعوذ بالله من عذابه، ونسأله سبحانه أن يلطف بعباده، وألا يعاجلهم بعقابه، فلا قوة إلا بالله، ولا ملجأ منه إلا إليه، والحمد لله رب العالمين.

تطابقت نتائج أبحاث العلماء مع ما في القرآن والسنة، فإن ذلك يؤكد بكل وضوح وجلاء أن شريعة الإسلام وحيٌ رباني كريم، وأنها صالحة لكل زمان ومكان وحالٍ







تفسير سورتي
الكافرون والنصر

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

الجزء الثلاثون — سورة الكافرون

سورة الكافرون

يقول الله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» [الكافرون: ١ - ٦].

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، وهي سورةُ البراءة من المشركين وأعمالهم، وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ بها مع «قل هو الله أحد» في ركعتي الفجر، وركعتي المغرب، وركعتي الطواف، كما أنه ﷺ كان يقرأهما إذا أوى إلى فراشه لينام.

تفسير الآيات

لقد بلغ من جهل المشركين وغباوتهم لما عجزوا عن صرف رسول الله ﷺ عن الدعوة وعن الدين والتوحيد، مع استخدامهم جميع الأساليب، من الترغيب والترهيب والحيلة، بلغ من جهلهم أن دعوا إلى ما يسمى بلغة العصر: أنصاف الحلول، فقالوا: يا محمد، اعْبد اللات معنا عامًا، ونعبد الله معك عامًا، فإنْ كنت على حق فقد كنا معك، وإن كنا على حق فقد كنت معنا، فنهى الله نبيه ﷺ عن طاعتهم فقال: «فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» [القلم: ٨، ٩]، وأمَره هنا أن يصدع ببراءته منهم، حتى ييأسوا منه، فقال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ»، قال بعض العلماء: التكرار للتأكيد، وقال بعضهم: المراد «لا أعبد ما تعبدون» في الحال، «ولا أنتم عابدون ما أعبد» الآن، «ولا أنا عابد ما عبدتم» في المستقبل، «ولا أنتم عابدون ما أعبد» في المستقبل. «لكم دينكم ولي دين».

وهذه البراءة من المشركين وأعمالهم سنة أبينا إبراهيم عليه السلام، وقد أمرنا الله أن نقتدي به ونتبع سنته، قال تعالى: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ» [الممتحنة: ٤].

فالتبري من الكافرين سنة إبراهيم، والتوحيد ملته، وقد قال تعالى: «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» [البقرة: ١٣٠]، فلا بدَّ من التبري من أعداء الله لابد من التبري من الكفر وأهله، والشرك وأهله، فلا يجوز أن تقرّ يا

عبد الله باستحقاق غير الله للعبادة مع الله، «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» [محمد: ١٩]، أي: لا معبود بحق إلا الله، وكل ما عُبد من دون الله فقد عُبد بالباطل، فإن فعلت فقد استمسكت بالعروة الوثقى، كما قال تعالى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [البقرة: ٢٥٦].

فلا بد أن يسبق الإيمان بالله الكفر بكل ما يُعبد من دونه، «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ»، ولذا كانت كلمة التوحيد ذات شقين: الأول: الكفر بالطاغوت، لا إله، والثاني: الإيمان بالله: إلا الله، لا إله إلا الله، كلمة التوحيد، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

ولابد أيضًا أن يعتقد المسلم أنه على الحق، وأن من خالف دين الإسلام من أهل أية ملة أو نِحْلة فهو على باطل، إنْ بلغته دعوةُ الحق ولم يؤمن بها فهو خالدٌ مخلد في النار، لا يخرج منها أبدًا.

هذا هو ما يجب على المسلم أن يعتقده، أما أن يقول لمن خالفه في عقيدته ودينه: «لكم دينكم ولي دين» ويظنّ أنهم على حقّ، كما أنه على حقّ، فهذا شك لا يغني عن صاحبه شيئًا.

وهذه السورة كقوله تعالى: «وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» [يونس: ٤١]، وقوله تعالى: «فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» [الشورى: ١٥].

●●●

الجزء الثلاثون — سورة النصر

سورة النصر

يقول الله تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ

بين يدي السورة

سورةٌ مدنية، تحمل البشرى لرسول الله ﷺ بالنصر والفتح، وتوجهه إلى التسبيح بحمد الله والاستغفار إذا جاء نصرُ الله والفتح.

كما أنها مع حملها البشرى قد نعتْ لرسول الله ﷺ نَفْسَه، وكأنه قيل له: كان منتهى مطلوبك في الدنيا هذا الذي وجَدْتَه، وهو النصر والفتح والاستيلاء، والله وعدك بقوله: «وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى»، فلما وجدت أقصى مرادك في الدنيا فانتقل إلى الآخرة لتفوز بتلك السعادات العالية، وحتى يأتيك الموت سبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان توابًا.

وعلى هذا البيان فالكلام على السورة ينقسمُ إلى قسمين: الأول عن تحليل ألفاظها وبيان معانيها، وكيف كان الفتح، والثاني: كيف مات رسول الله ﷺ.

تفسير الآيات

قال العلماء: ولِمَ جمعَ الله بين النصر والفتح؟ أليس الفتح نصرًا؟ وأجابوا: بأن النصر قد تحقق من غير فتح، كما كان يوم بدر، إذ خرج المؤمنون من المدينة، وخرج المشركون من مكة، والتقى الجمعان ببدر، فنصر الله رسوله والمؤمنين: «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا» [الأحزاب: ٢٥]، بل قُتل منهم سبعون، وأسر مثلهم، فكان نصرٌ من غير فتح، لكن «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ»، وذلك يوم دخل رسول الله ﷺ مكة، فكان الفتح، وهو ظاهرٌ، وكان النصرُ، لأن الله مكّن لنبيه ﷺ منهم فمن عليهم وعفا عنهم، وقوله تعالى: «وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ

اللَّهِ أَفْوَاجًا» يعني بعد الفتح، وذلك أن العرب من غير قريش كانوا يقولون: انظروا ما الله فاعلٌ بمحمد وقريش؟ فإن نصر الله قريشًا كما نصرها عام الفيل، فمعناه أنّ ما عليه قريش خيرٌ مما يدعو إليه محمد، وإن انتصر محمد على قريش، فمعناه أن محمدًا أهدى منهم سبيلاً، فلما جاء نصر الله والفتح عام ثمانية للهجرة، جاءت وفود العرب إلى النبي £ فبايعوه على الإسلام، وسمى العام التاسع بعد عام الفتح بعام الوفود، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

وقوله: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» الفاء واقعة في جواب الشرط: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» على ما حباك من نعم، «وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا»، ولقد كان £ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي»، كان يقول ذلك في الركوع والسجود يتأول القرآن، كما قالت عائشة رضي الله عنها.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤ / ٢٧٨): وكان سبب الفتح بعد هُدْنة الحديبية، ما ذكره محمد ابن إسحاق بسنده عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعًا قالا: كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن ندخل في عقد محمدٍ وعهده، وتواثبت بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرًا، ثم إن بني بكر وثبوا عل خزاعة ليلاً بماءٍ يقال له الوتير، وهو قريب من مكة، وقالت قريش: ما يعلم بنا محمدٌ، وهذا الليل، وما يرانا أحد، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح، وقاتلوهم معهم للطعن على رسول الله £، فركب عمرو بن سالم حتى قدم على رسول الله £ فأنشد بين يديه شعرًا، فقال:

يا رب إني ناشد محمدًا
حِلْفَ أبيه وأبينا الأتلدا
قد كنتموا وُلْدًا ولنا والدًا
ثمتَ أسلمنا فلم ننزعْ يدا
فانصر رسول الله نصرًا أبدًا
وادع عباد الله يأتوا مددا
في فيلقٍ كالبحر يجري مزبدًا
إن قريشًا أخلفوك الموعدا
ونقضُوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعوا أحدا
فهم أذلّ وأقلّ عددا
هم بيتونا بالوتير هُجَّدا
وقتلونا رُكَّعًا وسجَّدا

فقال رسول الله £: «نُصرت يا عمرو بن سالم»، ثم أمر الناس بالجهاز، وكتمهم مخرجه، وسأل الله أن يُعمي على قريش خبره، حتى يبغتهم في بلادهم، ثم إن أبا سفيان خرج حتى قدم على رسول الله £ المدينة، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم رسول الله £، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال عمر: أنا أشفع لكم إلى رسول الله £، فوالله لو لم أجد لكم إلا الذر لجاهدتكم به، ثم خرج فدخل على عليّ فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحمًا، وأقربهم مني قرابة، فاشفع لي إلى رسول الله £، فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله £ على أمر ما نستطيع أن نكلمه، فقال: فانصحني، قال: والله ما أعلم شيئًا يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأَجِرْ بين الناس، ثم الحق بأرضك، فقال: أو ترى ذلك مُغنيًا عني شيئًا؟ قال: لا والله ما أظن، ولكن لا أجدُ لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إني قد أَجَرْتُ بين الناس، ثم ركب حتى قدم على قريش، فقالوا: ما وراءك؟ فأخبرهم بما كان من أمره، فقالوا: هل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويحك، ما زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنا ما قلت؟ فقال: لا، والله ما وجدت غير ذلك.

ولما أجمع الرسول £ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله £ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه قريشًا، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به، وأتى رسولَ الله £ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فأرسل من أتاه بالكتاب.

أخرج البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله £ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا رَوْضَةَ خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تَعادَى بنا خيلُنا

حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجتْه من عِقاصها، فأتينا به رسول الله £ ، فإذا فيه: مِنْ حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله £ ، فقال: يا حاطب ما هذا؟» فقال: يا رسول الله، لا تعجل عليَّ، إني كنت امرءًا ملصقًا في قريش، يقول كنت حليفًا، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله £ : «أما إنه قد صدقكم». قال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». فأنزل الله سورة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» إلى قوله: «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» [الممتحنة].

قال ابن إسحاق: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم مضى رسول الله £ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رُهْمٍ كلثوم بن حُصين الغفاري، وخرج لعشْرٍ مضين من شهر رمضان وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد أفطر، ثم مضى حتى نزل مرّ الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، وقال عروة بن الزبير: كان معه اثنا عشر ألفًا، وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله £ ، ولا يدرون ما رسول الله £ فاعلٌ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبرًا أو يسمعون به، فأخذتهم خيل رسول الله £ ، وقام عمر إلى أبي سفيان يجأ في عنقه حتى أجاره العباس بن عبد المطلب، وكان صاحبًا لأبي سفيان، ثم أرْدَفَه خلفه حتى جاء رسول الله £ ، قال العباس: ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله £ وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، قال: فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله £ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه، قال: قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته، فقال رسول الله £ : «اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به». قال: فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله £ ، فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ فقال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد علمت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئًا بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئًا، فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، قبل أن تضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق فأسلم، قال العباس: فقلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلٌ يحب هذا الفخر فاجعل له شيئًا. قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

وقد روى البخاري بسنده عن هشام عن أبيه: أنه لما أسلم أبو سفيان قال رسول الله £ للعباس: «احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين». فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع رسول الله £ ، تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرَّت كتيبة فقال: يا عباس، من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: وما لي ولغفار، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، فقال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد: يا أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار، ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله £ وأصحابه، وراية رسول الله £ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله £ بأبي سفيان، قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ فقال: ما قال؟ قال كذا وكذا. فقال: كذب سعد، ولكن هذا يومٌ يعظم الله الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة، وأمر رسول الله £ أن تركز رايته بالحجون.

ثم إن أبا سفيان انطلق حتى جاء قومه فصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمدٌ قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

ثم دخل رسول الله £ مكة من كداء التي بأعلى مكة، قال عبد الله بن مغفل: رأيت رسول الله £ يوم

فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع، قال: ولولا أن يجتمع الناس حولي لرجّعت كما رجّع.

وعن جابر: أن رسول الله £ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء، وقال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله £ لما انتهى إلى ذي طُوى وقف على راحلته معتجرًا بشقة برد حبرة حمراء، وإن رسول الله £ ليضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى أن عثنونهُ ليكاد يمسُّ واسطة الرّحْل.

وروى البخاري بسنده عن ابن مسعود قال: دخل رسول الله £ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد».

قال البخاري بسنده إلى أبي شريح الخزاعي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعثُ البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله £ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن مكة حرّمها الله ولم يحرّمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرًا، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله £ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعةً من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب».

وهكذا كان النصر والفتح، وقد اختصرت قدر الإمكان، فمن شاء الزيادة والتفصيل فليراجع: «البداية والنهاية»، و«سيرة ابن هشام»، والله تعالى أعلم بما كان.

وهذا هو القسم الأول من السورة، كما وعدنا في مقدمتها.

أما كيف مات رسول الله £ وهو القسم الثاني:

فاعلم أنه £ خرج في السنة العاشرة من الهجرة للحج واستشعرت النفوس قرب أجله في هذه الحجة، وذلك لما نزل عليه فيها من القرآن، فقد نزل عليه يوم عرفة قول الله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا» [المائدة: ٣]، فلما تلاها رسول الله £ على أصحابه بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان.

وقد أشار النبي £ إلى هذا الذي فهمه عمر، فقال: وقد وقف عند جمرة العقبة: «خذوا عني مناسككم، فلعلي لا أحج بعد حجتي هذه». [رواه مسلم ١٢٩٧ / ٩٤٣ / ٢، وأبو داود ١٩٥٤ / ٤٤٥ / ٥، والنسائي ٢٧٠ / ٥].

وفي أوسط أيام التشريق نزلت عليه سورة النصر، فنعى £ نفسه إلى فاطمة ابنته، عن ابن عباس قال: «لما نزلت: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» دعا رسول الله £ فاطمة، فقال: «نُعيت إليَّ نفسي»، فبكت. فقال: «لا تبكي فإنك أول أهلي لاحق بي». فضحكت، فرآها بعض أزواج النبي £، فقلن: يا فاطمة، رأيناك بكيت ثم ضحكتِ، قالت: إنه أخبرني أنه نُعيْت إليه نفسه فبكيت، فقال لي: لا تبكي، فإنك أول أهلي لاحق بي، فضحكت.

وعن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يُدْخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟! فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم، وما رأيت أنه أدخلني معهم، إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» السورة؟ فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاكَ تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجلُ رسول الله £ أعلمه له، قال: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا»، وذلك علامة أجلك، «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا»، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

وهكذا استشعرت النفوس قرب أجله £ في حجة الوداع.

ثم رجع النبي £ إلى المدينة في ذي الحجة، فأقام بها بقيته، والمحرّم، وصفرًا.

وبعث بعثًا إلى الشام، وأمّر عليهم أسامة بن زيد، فبينا الناس على ذلك ابتدئ رسول الله £ بمرضه الذي قبض فيه، لما أراه الله له من رحمته وكرامته، في ليالٍ بقين من صفر، أو أول شهر ربيع الأول.

والحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

هؤلاء هم الرافضة

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن من سنن الله الكونية التي لا تتبدل ولا تتغير، تشابه أهل الباطل في عقائدهم نحو أهل الحق عبر الأزمنة المختلفة، ونقصد بالتشابه تشابههم في وسائل مواجهة الحق وأهله، يبدو ذلك جليًا في قصص الأنبياء والمرسلين، فما من نبي بعثه الله إلا رماه قومه بالسحر والكهانة والجنون، فاتفق قولهم حتى كأنهم أوصى بعضهم بعضًا، وفي هذا يقول جل شأنه: «كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» [الذاريات: ٥٢، ٥٣].

والمتأمل في تاريخ العراق المسلمة يجد أن خيانة الرافضة كانت سبباً في سقوطها في أيدي أعداء الأمة في القديم والحديث، ففي عام ٦٥٦هـ زحف المغول إلى بغداد وجاسوا خلال الديار، فقتلوا ونهبوا وأفسدوا وأسقطوا بغداد في السابع من صفر في تلك السنة، ثم توجهوا إلى دمشق بعد بغداد، وها هو التاريخ يعيد نفسه سنة ١٤٢٣هـ، حيث زحف الأمريكان إليها عن طريق خيانة الرافضة، وأحدثوا بها ما أحدثه سلفهم من المغول المفسدين، وعيونهم ما تزال متوجهة إلى دمشق، ولأجل ذلك يخططون ويعملون، فما أشبه الليلة بالبارحة.

ولنترك للحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» يحدثنا عن أحداث سنة ٦٥٦هـ، ويبين لنا كيف كانت خيانة الرافضة في سقوط بغداد، ثم لنقارن بين الأمس واليوم؟ لعلنا نعلم شيئًا عن رمز الخيانة والغدر، فالتاريخ فيه العبرة والعظة لأولي الألباب.

يقول ابن كثير رحمه الله: «كان الوزير ابن العلقمي يريد إظهار البدعة الرافضية، وأن يعطل المساجد والمدارس، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون بها مذهبهم، فماذا فعل ابن العلقمي لأجل ذلك؟

اتخذ ابن العلقمي تلك الخطوات الآثمة لأجل إسقاط راية أهل السنة ورفع راية التشيع على أرض العراق المسلمة:

١- كاتب هولاكو زعيم التتار وزين له غزو بغداد.

٢- زين للخليفة المستعصم أن يقلل عدد الجيش، حتى يهيئ الطريق لأسياده المغول.

٣- شغل الخليفة ببعض الشهوات التي هي طريق الخذلان والهزيمة أمام رب العالمين.

٤- انتشرت البطالة وسادت الفوضى وترك الجنود الجيش، فلم يبق فيه إلا عشرة آلاف لا يجيدون القتال ولا معرفة لهم بفنون المواجهة، حيث كان غالبهم من حاشية الخليفة، أما المجاهدون المقاتلون فسرحوا من عملهم فصاروا يستعطون الناس في الأسواق وبعضهم ترك البلاد.

٥- فرغ العراق من أسلحة المواجهة بعد أن سرح المجاهدين من جيش الخليفة.

وبذلك استطاع ابن العلقمي الرافضي أن يهيئ الطريق للتتار، ثم أعطاهم شارة الزحف، فأقبلوا بقضهم وقضيضهم حتى وقفوا على حدود بغداد، وعندئذ حاول الخليفة العباسي المواجهة ! ولكن كيف تنجح المواجهة في ظل ما

خطط له الرافضي الخبيث من تسريح الجيش والسلاح حتى صارت العراق بلا جيش ولا سلاح.

ولم يكتف الرافضي ابن العلقمي بما صنع، بل زين للخليفة مقابلة هولاكو هو والوزراء والأمراء وأئمة المساجد والخطباء والقراء حتى خرج الخليفة مع سبعمائة راكب من صفوة أهل العراق، وبمجرد أن اقتربوا من هولاكو فصلوا عن الخليفة، ثم نحروا كما تنحر الإبل بعد سلب ثيابهم فصاروا عراة، ثم قتل الخليفة ومن معه فخلت العراق من القيادة حيث قتل من يصلح لها مع الخليفة، وتحقق للشيعي الخبيث ما أراد.

وبعد أن دخل هولاكوا بغداد التي صارت فارغة من جيش وسلاح وخليفة وقادة، راح يقتل في أهلها من نساء ورجال وشيوخ وأطفال، حتى دخل الناس الآبار وأماكن الحشوش وأماكن الوسخ، وأغلق الكثير منهم المحلات على أنفسهم، فإذا لحقهم التتار علوا في سطح المنازل فقتلوهم وهم بالأسطح، حتى صارت ميازيب المياه تجري بدماء المسلمين.

ولك أن تسأل أخي: كم قُتل من المسلمين بخيانة ابن العلقمي الرافضي بعد أن أمن نفسه هو وأهله من التتار بعد أن أهداهم رقاب أهل السنة فضلاً عن رقبة الخليفة الذي كان وزيره، لكنها الخيانة التي تجري في دماء الرافضة والعداء المستحكم الذي ملأ قلوبهم وصدورهم.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «وبلغ عدد القتلى ثمانمائة ألف، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف». [البداية والنهاية ج١٢].

بعد هذا العرض لأحداث سنة ٦٥٦هـ، وما فعله التتار بأرض بغداد، ألا ترى أخي أن أوجه الشبه بين الأمس واليوم تكاد تتطابق وأن أحفاد ابن العلقمي في العراق وفي لبنان وإيران قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر.

ألا يذكرك ما صنع بإخوانك بسجن أبي غريب بما صنعه التتار من تعرية العلماء والفقهاء وأئمة المساجد؟

ألا يذكرك ما صُنع بالخليفة من ركل وضرب بما صنع بحاكم العراق بعد إعدامه؟

ألا تذكرك خيانة ابن العلقمي الشيعي، بأحفاده في العراق واحتضانهم للعدو وترحيبهم بقدومه وإن تظاهروا بغير ذلك.

ألا تتذكر بزحف التتار على دمشق واحتلالها من بوابة العراق، ما يفعله اليوم أتباع هولاكو من تحرش بدمشق لأجل وجود ذريعة لدخولها.

أبعد كل ذلك يمكن لعاقل أن ينادي بالتقريب بين الكفر والإيمان، أو بين الليل والنهار، يقول الله سبحانه: «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» [القلم: ٣٥، ٣٦]، يقول جل شأنه: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ» [الرعد: ١٦].

فمهلاً يا دعاة التقريب.. عودوا إلى رشدكم، وتوبوا إلى بارئكم، وفي سلسلة خيانات الرافضة يأتي اسم نصر الدين الطوسي وهو وزير حاكم التتار في تلك الآونة الذي قال عنه الحافظ ابن كثير: «كان وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين، وكان رافضياً خبيثًا، سيئ الطوية على الإسلام وأهله»، وتعجب إن علمت أنه علم من أعلام الشيعة ومرجع من مراجعهم الموثقة إلى اليوم، وهو الذي قدم معهم يدلهم ويقودهم ويوجههم، ألا تذكر كيف دخلت دبابات أمريكا إلى العراق وعلى ظهورها أحفاد نصر الدين الطوسي من الرافضة يقومون بما قام به جدهم الأول «الطوسي»، بل يزداد عجبك أخي القارئ عندما تعلم أن الخميني قد مدح الطوسي بقوله: «إنه قدم خدمات جليلة للإسلام». (الحكومة الإسلامية ص١٤٢).

وبالطبع يقصد تخطيطه مع ابن العلقمي للقضاء على الخلافة العباسية (السنية) في العراق، هؤلاء هم آباء حسن نصر الله ونجاد وطالباني الذين يظن الجهلاء أنهم قادة الأمة.

والله من وراء القصد.



كيف تلقى الصحابة كلام الله

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه، وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: لما أنزلت على رسول الله ﷺ: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [البقرة: ٢٨٤]. قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذَلَّتْ بها ألسنتهم، أنزل الله عز وجل في إثرها: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» [البقرة: ٢٨٥]. فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» قال: نعم، «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» قال: نعم. «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» قال: نعم. «وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» [البقرة: ٢٨٦]. قال: نعم.

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب «بيان تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر وبيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق» برقم (١٢٥) كما أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٢/٤١٢)، كما أخرجه بنحوه الإمام مسلم عن ابن عباس برقم (١٢٦)، والإمام أحمد برقم (١/٣٣٢ - ٣٣٣)، والإمام الترمذي في التفسير باب ومن تفسير سورة البقرة برقم (٢٩٩٢)، وأخرجه الإمام الطبري وفيه قصة لابن عمر، كما أخرجه الترمذي نحوه من حديث علي رضي الله عنه برقم (٢٩٩٠)، وعن عائشة رضي الله عنها برقم (٢٩٩١).

شرح الحديث

في هذا الحديث بيان لما كان عليه أصحاب النبي ﷺ من الفهم لكتاب الله تعالى والتدبر، حتى إنهم إذا نزل القرآن تدبروه، ونظروا فيما يكلفون به، فإن كان مما يطاق سارعوا إلى تنفيذه والعمل به، وإن كان فيه مشقة فإنهم يسارعون إلى رسول الله ﷺ ليستوضحوه: كيف العمل بهذا الذي لا طاقة لهم به، وهذا الذي يرونه لا تطيقه نفوسهم هو من باب أولى لا تطيقه نفوس غيرهم ولا شك.

وعلى ذلك فهم لا يعترضون على التكاليف الشرعية، وإنما يخافون مما هو فوق الطاقة، وفيه الحرج والمشقة أن يحاسبوا على تقصيرهم فيه، كما جاء في رواية الإمام ابن جرير الطبري - قال الحافظ في الفتح بإسناد صحيح - عن الزهري أنه سمع سعيد بن مرجانة يقول: كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما فتلا هذه الآية: «وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ». فقال: والله لئن واخذنا الله بهذا لنهلكن، ثم بكى حتى سمع نشيجه، فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر وما فعل حين تلاها، فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري لقد وجد المسلمون حين نزلت مثل ما وجد، فأنزل الله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا».

وقد روى الإمام أحمد من طريق مجاهد قال: دخلت على ابن عباس فقلت: كنت عند ابن عمر فقرأ: «وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ». فبكى، فقال ابن عباس: إن هذه الآية لما أنزلت غمت أصحاب رسول الله ﷺ غمًا شديدًا وقالوا: يا رسول الله، هلكنا، فإن قلوبنا ليست بأيدينا. فقال ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا»، فقالوا، فنسختها هذه الآية: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا».

ولقد أرشد النبي ﷺ أصحابه - وهذا الإرشاد للأمة كلها - إلى عدم التشبه بالمغضوب عليهم أو الضالين، وهم اليهود والنصارى، فإنهم كان من شعارهم مع أنبيائهم إذا أمروا بأمر أن يقولوا: سمعنا وعصينا، وبين لهم صلوات الله وسلامه عليه أنه يجب عليهم أن يكون شعارهم: «سمعنا وأطعنا»، وبيَّن لهم بعد ذلك أنه إذا صدر من الإنسان شيء من ذلك أو

وسوسة في النفس أن يستغفروا الله تعالى فيقولوا: «غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ». استغفار لما بدر منهم مما وقع في نفوسهم من غم بسبب أنه ثقل عليهم القول حتى إنهم بركوا على ركبهم أو جثوا على صدورهم من شدة ما ظنوا أن الله سيحاسبهم على ما تخفيه أنفسهم وتنطوي عليه صدورهم، وهذا مما لا يطاق، وقد فرقوا بين هذا وبين ما سبق تكليفهم به من صلاة وصيام وجهاد وصدقة، فقالوا: إن هذا مما نطيقه وقد كلفناه ولا حرج علينا فيه، أما أن نكلف بمتابعة قلوبنا وتفقد خواطرنا فقلوبنا ليست بأيدينا ولا نستطيع التحكم فيها، فإن حاسبنا الله على ذلك هلكنا، فقال لهم النبي £ : «قولوا سمعنا وأطعنا». أي: ففي السمع والطاعة بركة عظيمة، كيف والنبي £ يعلم أن الله تبارك وتعالى أرحم بعباده منهم بأنفسهم، فهو من رحمته سبحانه لا يكلفهم فوق طاقتهم، وهو سبحانه غني عن عنت عباده وغني عن عبادتهم، ولا يكلفهم سبحانه وتعالى إلا ما يطيقون.

ثناء الله على رسوله وعلى المؤمنين

فلما استجاب الصحابة للنبي £ وقالوا: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» أنزل الله تبارك وتعالى الآية التالية وهي تتضمن ثناء بإثبات الإيمان للرسول £ والمؤمنين، وهذا معناه فيما قرره العلماء ثناء بدوامهم على الإيمان واستمرارهم عليه، وإلا فالأصل أنهم مؤمنون، لكن لما استجابوا ولم يناقشوا استحقوا الثناء عليهم، فقال تعالى: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»، فالله مالك الملك له ما في السماوات وما في الأرض وإن أظهر الخلق أعمالهم أو أخفوها فإن الله تعالى بها عليم، وقد قال تعالى: «وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [الملك: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: «قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [آل عمران: ٢٩]، وقال تعالى: «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى» [طه: ٦، ٧]، قال ابن كثير في التفسير: والآيات في هذا المعنى كثيرة وقد أخبر في هذه الآية بمزيد على العلم وهو المحاسبة على ذلك؛ ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة - رضي الله عنهم - وخافوا منها ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها، وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم. اهـ.

وقد عطف المؤمنون على رسول الله £ في الإيمان؛ ثم فصل إيمانهم هذا بعد إجماله فقال: «كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»؛ لأنهم أقروا بما أرشدهم إليه الرسول £ وذلت به ألسنتهم وخضعت له قلوبهم فنزل هذا الثناء عليهم ثناء بالإيمان المفصل، وقوله تعالى: «لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» أي: نؤمن بجميع الرسل ولا نكفر ببعضهم، فإيماننا بالجميع، لا كما قال الكافرون والمنافقون في قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا» [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وهذا هو التفريق المنهي عنه، ومثله المفاضلة التي توهم تنقص بعض الرسل، حتى ولو كان فيما قال رسول الله £ : «يأتي النبي ومعه الرجل، ويأتي النبي وليس معه أحد». متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وكذا ما نهى عنه النبي £ من المفاضلة بين الأنبياء في قوله صلوات الله وسلامه عليه: «لا تفضلوا بين أنبياء الله». متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما تفضيل بعض الرسل على بعض الذي ورد في القرآن، مع معرفة فضل كل رسول وعدم تنقص أحد منهم فليس داخلاً في النهي وليس من التفريق بينهم المذموم في كتاب الله عز وجل، فإن الله تبارك وتعالى قال: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ» [البقرة: ٢٥٣]. وكذلك معرفة فضل أولي العزم من الرسل الوارد في قوله تعالى: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» [الأحقاف: ٣٥].

التخفيف عن الأمة

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه - الذي معنا - قال: فلما فعلوا ذلك - أي خضعوا لله ولرسوله وذلت قلوبهم وخضعت ألسنتهم وامتثلوا أمر نبيهم فقالوا سمعنا وأطعنا - فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» إلى آخره.

فلما قالوا: «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» قال: نعم، «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ»، قال: نعم، «وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» قال: نعم.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» قال: قد فعلت، «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» قال: قد فعلت، «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» قال: قد فعلت، «وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» قال: قد فعلت.

وفي الرواية الأخرى لابن عباس رضي الله عنهما قال: إن هذه الآية لما أنزلت غمت أصحاب النبي £ ورضي الله عنهم غمًا شديدًا، وغاظتهم غيظًا شديدًا، يعني وقالوا: يا رسول الله هلكنا، إنا كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما نعمل، فأما قلوبنا فليست بأيدينا، فقال لهم رسول الله £ : «قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا». فقالوا: سمعنا وأطعنا، قال: فنسختها هذه الآية: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ» إلى

قوله: «لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»، فتجوز لهم عن حديث النفس وأخذوا بالأعمال.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: قال ابن عباس رضي الله عنهما: فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها، وصار الأمر إلى أن قضى الله عز وجل أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل.

ثم قال الحافظ ابن كثير: فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما - أي في القول بالنسخ - وقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما كما ثبت عن ابن عباس - قلت: وهو ثابت أيضًا في حديث أبي هريرة الذي معنا - قال: وهكذا روي عن علي وابن مسعود وكعب الأحبار والشعبي والنخعي ومحمد بن كعب القرظي وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة: أنها منسوخة بالتي بعدها.

ثم ساق - رحمه الله تعالى - بعض الأحاديث في رحمة الله بالأمة والتخفيف عنها فقال ما مختصره: وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تَكَلَّمْ أو تعمل»، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «قال الله تعالى: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا». اللفظ لمسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرًا إلى سبعمائة ضعف، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت».

قال: تفرد به مسلم دون غيره من أصحاب الكتب.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله £ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى، قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك ؛ فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة». ثم رواه مسلم وزاد فيه: «ومحاها الله، ولا يهلك على الله إلا هالك».

القائلون بعدم النسخ

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: «وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ»، فإنها لم تنسخ، ولكن الله عز وجل إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول: إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم يطلع عليه ملائكتي، فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم، وهو قوله: «يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ» يقول: يخبركم، وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، وهو قوله: «فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ»، وهو قوله: «وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ» أي: من الشك والنفاق، وقد روى العوفي والضحاك عنه قريبًا من ذلك.

قال: وقد روى ابن جرير عن مجاهد والضحاك نحوه، وعن الحسن البصري أنه قال: هي محكمة لم تنسخ، واختار ابن جرير ذلك، واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة، وأنه تعالى قد يحاسب ويغفر، وقد يحاسب ويعاقب، احتج بالحديث الذي رواه بسنده عن صفوان بن محرز قال: بينا نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - وهو يطوف إذا عرض له رجل فقال: يا ابن عمر ؛ ما سمعت رسول الله £ يقول في النجوى ؟ قال: سمعت رسول الله £ يقول: «يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول له: هل تعرف كذا ؟ فيقول: رب أعرف - مرتين - حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، قال: فيعطى صحيفة حسناته - أو كتابه - بيمينه، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الأشهاد: «هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة.

وعلى كلا القولين - النسخ وعدمه - ففي الروايات اتفاق على ثبوت سعة رحمة الله تعالى وجميل عفوه عن عباده المؤمنين.

ذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الآيتين من آخر سورة البقرة

أورد الحافظ ابن كثير عددًا من الأحاديث في فضل هاتين الآيتين نكتفي باختصار الصحيح منها على النحو الآتي:

الأول: عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي £ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». أخرجه الجماعة - قلت: قال العلماء: كفتاه عن قيام الليل، وقيل: كفتاه عن أن يحفظ من الشيطان ومن كل ما يضر، ولا مانع من اجتماع الأمرين، والله أعلم.

الثاني: عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه - قال: لما أسري برسول الله £ انتهي به إلى سدرة المنتهى - وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال: «إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى» قال: فراش من ذهب، قال: وأعطي رسول الله £ ثلاثًا ؛ أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المُقْحِمَات.

قلت: أي تغفر الذنوب التي تقحم صاحبها في النار إذا لم يشرك بالله شيئًا، والله أعلم.

الثالث: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ؛ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. رواه مسلم.

والمعنى في هذا الحديث أن سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة لا يقتصر الأجر فيهما على عشر حسنات للحرف، كما هو في سائر القرآن، والله أعلم.

تفسير بعض ألفاظ الآيتين

قوله تعالى: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ» إخبار من الله تبارك وتعالى عن نبيه صلوات الله وسلامه عليه بذلك. وقوله تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ» عطف على الرسول، ثم أخبر عن الجميع فقال: «كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»، فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من عند الله تعالى على عباده المرسلين، لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبل الخير والرشاد، وإن كان بعضهم نسخ شريعة بعض بإذن الله تعالى حتى نسخ الجميع بشريعة نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم.

وقوله: «وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» أي: قالوا: سمعنا قولك يا ربنا ووعيناه وتدبرناه وقمنا به وامتثلناه فعملنا بمقتضاه، وقوله تعالى: «غُفْرَانَكَ رَبَّنَا» أي أنهم يسألون الله تعالى المغفرة والرحمة واللطف، وقوله تعالى: «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» أي: إليك المرجع والمآب للعرض والحساب.

وقوله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» أي: أن الله تعالى لا يكلف أحدًا ما لا يطيق، وهذا من رحمته تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم ولطفه بهم، وهذه هي الناسخة الرافعة لما أشفق منه الصحابة رضوان الله عليهم في قوله: «وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ» أي: أنه وإن حاسب سبحانه وسأل، لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه والبعد عنه، فأما ما لا يملك دفعه كالوسوسة وحديث النفس فهذا لا يكلف به الإنسان، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان.

وقوله تعالى: «لَهَا مَا كَسَبَتْ» أي: من خير، «وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» أي: من شر، وذلك في الأعمال الداخلة في نطاق التكليف، وقوله تعالى: «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» أي: لا تكلفنا من الأعمال الشاق وإن أطقناه، كما شرعته للأمم الماضية قبلنا من الأغلال والآصار التي كانت عليهم، والتي بعث نبينا محمد ﷺ نبي الرحمة بوضعه في شرعه الحنيف السهل السمح. وقد قال بعض المفسرين: إن الله تعالى لم يكلف أحدًا من خلقه فوق طاقته لا من السابقين ولا من اللاحقين، وإنما عاقب بعض أهل الكتاب بالأغلال والآصار بأعمالهم وعنادهم وإعراضهم عن الحق، وأما بداية فلم يكونوا كلفوا إلا ما يطيقون. والله أعلم.

وقوله تعالى: «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» أي: من التكاليف والمصائب والبلايا، أي: لا تبتلينا بما لا قبل لنا به. وقوله: «وَاعْفُ عَنَّا» أي: فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصير وزلل يقع منا.

وقوله: «وَاغْفِرْ لَنَا» أي: فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهر مساوينا وأعمالنا القبيحة لهم.

وقوله: «وَارْحَمْنَا» فيما يستقبل من أعمارنا؛ فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر، وقد قيل: إن المذنب يحتاج في توبته ومحو ذنبه إلى ثلاثة أمور ؛ أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه، وأن يستره من عباده فلا يفضحه به بينهم، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره.

لطيفة

قال بعض العلماء: تكرار النداء بـ «ربنا» في قوله تعالى: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» وفي قوله: «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» وقوله تعالى: «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» ، ولم يذكر النداء في قوله تعالى: «وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا» والسر في ذلك أن العفو أصل في عدم المؤاخذة، وأن المغفرة أصل في رفع المشقة، وأن الرحمة أصل لعدم العقوبة الدنيوية والأخروية، فلما كان تعميمًا بعد تخصيص كان كأنه دعاء واحد.

وقوله: «أَنْتَ مَوْلَانَا» أي: أنت يا ربنا ولينا وناصرنا، عليك توكلنا وأنت المستعان وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك.

وقوله: «فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» أي: انصرنا وأظهرنا وأظهر دينك وأهل توحيدك على القوم الكافرين الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك، وعبدوا غيرك وأشركوا معك في عبادتك بعض خلقك، وتنكروا لرسالة نبيك محمد ﷺ، فانصرنا عليهم واجعل العاقبة لنا عليهم ودائرة السوء عليهم في الدنيا والآخرة.

وقال ابن جرير في تفسيره بسنده إلى أبي إسحاق أن معاذًا رضي الله عنه كان إذا فرغ من هذه السورة - سورة البقرة - «وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» قال: آمين.

هذا، ونسأل الله تعالى أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، وأن يجعلنا من أهله الذين يتلونه حق تلاوته فيؤمنون به، وممن يعملون به في الدنيا عقيدة وعبادة ومعاملة وخلقًا وسلوكًا فيرقون به في الآخرة في جنات النعيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



مشروع تيسير حفظ السنة
من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

١٨٢٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسولُ الله £ : «المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ، قَدَرُ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». [م (٢٦٦٤)، حم (٨٧٩٩)، جه (٧٩)، حب (٥٧٢٢)، هق (١٠ / ٨٩)].

١٨٢٣- عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ»(١) قالها ثلاثًا. [م(٢٦٧٠)، حم (٣٦٥٥)، د(٤٦٠٨)].

١٨٢٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». [م(٢٦٧٤)، ط(٥٠٧)، حم (٩١٧١)، د(٤٦٠٩)، ت(٢٦٧٤)، جه (٢٠٦)، حب (١١٢)].

١٨٢٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله £ يسير في طريق مكة، فمرَّ عَلَى جبلٍ يقال له: جُمْدَانُ، فقال: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ». قالوا: وَمَا المُفرِّدُونَ يا رسول الله؟ قال: «الذاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، والذَّاكِرَاتُ». [م(٢٦٧٦)، حم (٨٢٩٧)، حب (٨٥٨)].

١٨٢٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله £ قال: «لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلاَ يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلا خَيْرًا». [م(٢٦٨٢)، حم (٨١٩٦)، حب (٣٠١٥)، هق (٣ / ٣٧٧)].

١٨٢٧- عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثرُ دَعْوَةٍ يدعو بها النبيُّ £ : «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». [م(٢٦٩٠)، حم (١٣٩٣٨)، د(١٥١٩)].

١٨٢٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ». [م(٢٦٩٢)، حم (٨٨٤٤)، د(٥٠٩١)، ت (٣٤٩٦)، ن(١٠٤٠٣ / ٦- كبرى)].

١٨٢٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله £ : «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ». م(٢٦٩٥)، ت(٣٥٩٧)، حب (٨٣٤).

١٨٣٠- عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله £ يُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي». [م(٢٦٩٧)، جه (٣٨٤٥)].

١٨٣١- عن سعد رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله £ فقال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟! فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ». [م(٢٦٩٨)، حم (١٤٩٦)، (١٥٦٣)، (١٦١٢)، (١٦١٣)، ت(٣٤٦٣)، حب (٨٢٥)].

١٨٣٢- عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن النبي £ قال: «لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السكينة وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». [م (٢٧٠٠)، حم(١١٨٧٥)، ت(٣٣٧٨)، جه (٣٧٩١)].

١٨٣٣- عن الأَغَرِّ المُزَنِيِّ رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ». [م(٢٧٠٢)، حم (١٨٣١٩)، د (١٥١٥)، ن (١٠٢٧٦ / ٦- كبرى)، حب (٩٣١)].

١٨٣٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ». [م(٢٦٠٣)، حم (١٩١٤١)، (٩٥١٤)، (١٠٤٢٤)، (١٠٥٨٦)، حب (٦٢٩)].

١٨٣٥- عن خولة بنت حكيم السُّلَمِيَّة رضي الله عنها قالت: سَمعتُ رسول الله £ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». [م(٢٧٠٨)، ط (١٨٣٠)، حم(٢٧١٩٠)، (٢٧١٩١)، (٢٧١٩٢)، (٢٧١٩٣)، ت(٣٤٢٧)، ن(١٠٣٩٤ / ٦- كبرى)، جه (٣٥٤٧)، حب (٢٧٠٠)].

١٨٣٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ £ فقال: يا رسول الله، ما لَقيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ، قال: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ». [م(٢٧٠٩)، حم (٨٨٨٩)، د(٣٨٩٨)، جه (٣٥١٨)، ن(١٠٣٩٧ / ٦- كبرى).

١٨٣٧- عن البراء رضي الله عنه أن النبي £ كان إذا أخذ مَضجعهُ قال: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ». وإذا استيقظ قال: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيانا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ». [م(٢٧١١)، ن(١٠٦٠٨ / ٦- كبرى)].

١٨٣٨- عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أمر رجلاً أن يقول إذا أخذ مضجعه: «اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُها وَمَحْيَاها، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا». اللَّهُمَّ إِنيِّ أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ». ثُم قال: سمعته من رسول الله £ . [م(٢٧١٢)، ن(١٠٦٣٢- ١٠٦٣٣ / ٦- كبرى)، حب (٥٥٤١).

١٨٣٩- عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله £ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ وَلاَ مُؤْوِي». [م(١٧١٥)، حم (١٢٥٥٣)، (١٢٧١٢)، (١٣٦٥٤)، د(٥٠٥٣)، ت(٣٣٩٦)، ن(١٠٦٣٥ / ٦- كبرى)، حب (٥٥٤٠)].

١٨٤٠- عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله £ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ». [م(١٧١٦)، م (٢٥٨٤٢)، (٢٦٤٢٨)، د(١٥٥٠)، ن(١٣٠٦)، (٥٥٤٠)، (٥٥٤٢)، (٥٥٤٣)، (١٢٣٠ / ١، ٧٩٦٣- إلى الرقم ٧٩٦٩ / ٦- كبرى)، جه (٣٨٣٩)، حب (١٠٣١)، (١٠٣٢).

١٨٤١- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبيَّ £ كان إذا كان في سَفَرٍ وَأَسحَرَ يقول: «سَمَّعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحُسْنِ بَلاَئِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا، عَائِذًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ». م(٢٧١٨)، د(٥٠٨٦)، ن(١٠٣٧٠ / ٦- كبرى)، حب (٣٧٠١).

١٨٤٢- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: كان رسول الله £ يقول: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا معاشي وَأَصلِح لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ». [م (٢٧٢٠)].

١٨٤٣- عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي £ أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى». [م(٢٧٢١)، حم (٣٦٩٢)، (٣٩٠٤)، (٣٩٥٠)، (٤١٣٥)، ت(٣٤٨٩)، جه (٣٨٣٢)، حب (٩٠٠).

١٨٤٤- عن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله £ : «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، واذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، والسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ». م(٢٧٢٥)، د(٤٢٢٥)، ن(٥٢٢٧)، (٥٣٩١)، (٩٥٤١ / ٥، ٩٨٢٥ / ٥- كبرى).

١٨٤٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فاطمةَ رضي الله عنها أتتْ النَّبيَّ £ تَسْأَلُهُ خَادمًا، وشكت العمل، فقال: «مَا أَلْفَيْتِيهِ عِنْدَنَا»، قالَ: «أَلاَ أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلاثًا وَثَلاثِين، وتَحْمَدِينَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وتُكَبِّرِين أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ». م(٢٧٢٨).

١٨٤٦- عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله £ سُئِلَ: أَيُّ الكَلاَمِ أَفْضَلُ؟ قال: «مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلاَئِكَتِهِ أَوْ لِعِبادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». م(٢٧٣١)، حم(٢١٣٧٨)، (٢١٥٨٥)، ت(٣٥٩٣).

١٨٤٧- عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله £ : «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ». م(٢٧٣٢)، د(١٥٣٤)، حب (٩٨٩)، هق (٣ / ٣٥٣).

١٨٤٨- عن أنسِ بْنِ مالكٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله £ : «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا». م(٢٧٣٤)، ت(١٨١٦).

هامش

١- المتنطعون: المتعمقون في الكلام.



سورة آل عمران

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد: فما يزال حديثنا متصلاً حول قصة عيسى عليه السلام، وما صاحبها من آيات ومعجزات، وسنتكلم في هذا العدد بإذن الله تعالى حول الآيتين الخمسين والواحدة والخمسين من سورة آل عمران.

قال الله تعالى: «وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» [آل عمران: ٥٠، ٥١]، قوله تعالى: «وَمُصَدِّقًا» معطوفة على ما سبق «أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ» أي: حال معطوفة على قوله: «بِآيَةٍ» يعني أنها منصوبة على الحال ومعناها: وجئتكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة أي مقررًا لها ومثبتًا.

والمصدق: المخبر بصدق غيره، وأدخلت اللام في «لما» على المفعول للتقوية والدلالة على تصديق مثبت محقق، أي: مصدقًا تصديقًا لا يشوبه شك ولا نسبة إلى الخطأ، وجعل التصديق متعديًا إلى التوراة توطئة لقوله: «وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ».

«وما بين يدي» أي: ما تقدم قبلي، لأن المتقدم السابق يمشي بين يدي الجائي فهو هنا تمثيل لحالة السبق، وإن كان بينه وبين نزول التوراة أزمنة طويلة، قدرها صاحب «فتح البيان» بألف سنة وتسعمائة سنة وخمس وسبعين سنة، لأنها لما اتصل العمل بها إلى مجيئه، فكأنها لم تسبقه بزمن طويل، ويطلق ما بين اليدين على ما سبق، فما بين اليدين يطلق على ما مضى، ويطلق على ما يستقبل، وكذلك يستعمل بين يدي كذا في معنى المشاهد الحاضر كما في قوله تعالى: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ»، وقيل: المستقبل هو ما بين الأيدي والماضي هو الخلف.

وقيل عكس ذلك، وهما استعمالان مبنيان على اختلاف الاعتبار في تمثيل ما بين الأيدي والخلف، لأن ما بين أيدي المرء هو أمامه، فهو يستقبله ويشاهده ويسعى للوصول إليه، وما خلفه هو ما وراء ظهره، فهو قد تخلف عنه وانقطع ولا يشاهده، وقد تجاوزه ولا يتصل به بعد. وقيل أمور الدنيا وأمور الآخرة، وهو فرع من الماضي والمستقبل.

هذه هي إطلاقات ما بين اليدين والخلف، والذي يعنينا هنا في هذه الآية قول عيسى عليه السلام: «وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ»، وهو ما سبقه، وتقدم قبله من أحكام التوراة.

وقوله: «من التوراة» هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه الصلاة والسلام، وهي

أصل الكتب المنزلة على بني إسرائيل وأعظمها، بل هي أعظم الكتب فيما نعلم بعد القرآن.

وقوله: «وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ»:

أي: وجئتكم أيضًا لأحل لكم بعض الذي حرم عليكم، وقال «بعض» ولم يقل: «كل» والمحرم عليهم ذكره الله في قوله: «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ» [الأنعام: ١٤٦].

وقال تعالى: «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ» [النساء: ١٦٠]، فلما حرمت عليهم هذه الطيبات لظلمهم وعدوانهم وبعث الله عيسى عليه السلام أحلّ لهم بعض ما حرم عليهم، ولم يُذكر في القرآن بيان هذا البعض فيكون باقيًا على إطلاقه، ولو كان لنا مصلحة في تعيين ذلك لبينه الله.

وهناك أقوال نقلها أهل التفسير تبين هذا البعض.

قال ابن كثير - رحمه الله -: فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين، ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئًا، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ، وانكشف لهم عن الغطاء في ذلك.

قال القاسمي: من البعض الذي أحله عيسى عليه السلام لهم فعل الخير في السُّبُوت، وقد كانوا يعتقدون تحريم مطلق عمل يوم السبت. قال قتادة: كان قد حرم عليهم موسى الإبل والثروب (جمع ثرب وهو الشحم الرقيق الذي يغشي الكرش والأمعاء والمصارين من الذبائح والأنعام)، وأشياء من الطير فأحلها عيسى عليه السلام.

وقال الربيع: وأشياء من السمك وما لا مخلب له من الطير، وكان في التوراة محرمات تركها شرع عيسى على حالها.

وقوله: «بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» الفعل هنا مبني لما لَمْ يسم فاعله للمجهول، ولكن فاعله معلوم وهو الله عز وجل كما قال الله تعالى: «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ» [الأنعام: ١٤٦].

«وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» كرر هذا مرة أخرى بعد قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ» [آل عمران: ٤٩]، فإما أن تقتصر على تصديقه لما بين يديه من التوراة وعلى إحلاله بعض الذي حرم عليهم وحينئذ لا يكون في الآية تكرار، وإما أن يقال: إن قوله: «وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ» يشمل كل ما جاء به من الآيات، ويكون هذا من باب التأكيد وإقامة الحجة عليهم، فكرر مجيئه بالآيات احتجاجًا عليهم لما كذبوا.

قال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ»:

«اتَّقُوا اللَّهَ»: يعني: اتخذوا وقاية من عذابه، لأن التقوى مأخوذة من الوقاية، فبماذا تكون الوقاية من عذابه؟ تكون بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهذا هو المعنى الشامل للتقوى عند الإطلاق وإذا قرنت التقوى بالبِرِّ صار المراد بها اجتناب المحارم، مثل قوله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى» [المائدة: ٢]، وقد عرف أهل العلم التقوى بعدة تعريفات، لكن يجمعها ما ذكرناه من أنها اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

قال: «وَأَطِيعُونِ» أي: وأطيعوني فيما أمرتكم به وفيما نهيتكم عنه، وطاعته من التقوى بلا شك لكن نص عليها لأنها تقوى خاصة فيما جاء به عيسى، لأن التقوى يؤمر بها كل إنسان، فإذا قيل: «أطيعون» صارت تقوى خاصة في طاعة هذا الرسول الذي بعث إلى قومه، والطاعة قال العلماء في تفسيرها: إنها موافقة الأمر تجنبًا للنهي وفعلاً للمأمور، فمن تجنب النهي ناويًا بذلك امتثال الأمر فهو مطيع، ومن فعل الأمر ناويًا بذلك امتثال الأمر أيضًا فهو مطيع، أما من ترك النهي أو بعبارة أصح المنهي عنه عجزًا عنه فإن هذا ليس بمطيع، بل إذا سعى في أسبابه حتى عجز كان كمن فعله ؛ لقول النبي ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار». قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه». رواه البخاري ومسلم.

ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ»:

لما أمرهم بتقوى الله ذكر ما هو كالسبب في ذلك، فقال: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ»، والربُّ هو الخالق المالك المتصرف، وتوحيد الله بالربوبية أن نؤمن بأنه لا خالق ولا مالك ولا مدبر إلا الله سبحانه وتعالى، وما يضاف من الخلق أو الملك أو التدبير لغير الله فإنه على وجه ناقص من حيث الشمول ومن حيث التصرف.

فمثلاً الخلق يضاف إلى غير الله، وقد مرَّ علينا قريبًا أن عيسى قال: «أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ»

[آل عمران: ٤٩]، وقال تعالى: «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» [المؤمنون: ١٤]، وقال الله في الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي». رواه البخاري.

وقال النبي £ : «أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله». رواه البخاري ومسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «يقال لهم: أحيوا ما خلقتم». رواه البخاري ومسلم، ولكن الخلق المضاف إلى غير الله عز وجل ناقص ليس إيجادًا حقيقة ولكنه تغيير لصورة، فمثلاً الإنسان يخلق من الخشب بابًا، هل هو خلق الخشب؟ ومن الحديد سيارة هل خلق الحديد؟ كلا، ولكن حوّله من حال إلى حال فصار هذا خلقه، لكنه ليس هو الذي أوجد الحديد أو الخشب حتى يقال: إن خلقه كخلق الله. أيضًا: خلق الإنسان أو البشر عمومًا ليس عامًا شاملاً، لأن كل إنسان يخلق ما صنع فقط، وما لم يصنعه فليس من خلقه.

المهم أن الربوبية هي انفراد الله بالخلق والملك والتدبير، ولا يعني ذلك أن لا أحد يشاركه في خلق أو ملك أو تدبير، لكن على وجه لا يماثل ما يثبت للخالق من ذلك، فالإنسان قد يخلق فيقال خالق، ويقال مالك، ويقال مدبر، لكنه كما سبق ناقص ليس إيجادًا حقيقة ولكنه تغيير للصورة كما ذكرنا آنفًا.

قوله: «ربي وربكم» بدأ بنفسه ليكون أول مذعن لهذا الربِّ عز وجل، لأن الربَّ خالق مالك مدبر، فبدأ بنفسه ليكون هو أول من يذعن وينقاد لهذا الرب.

قوله: «فَاعْبُدُوه»: الفاء هنا عاطفة وتفيد السببية أيضًا أي: بسبب كونه ربي وربكم اعبدوه، ولهذا نقول: إن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية، وأن من أقر بتوحيد الربوبية وأنكر توحيد الألوهية فقد تناقض، ولذلك سفَّه الله المشركين الذين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ثم ينكرون توحيد الألوهية فيقول: «أَنَّى تُصْرَفُونَ» [يونس: ٣٢]، «أَنَّى يُصْرَفُونَ» [غافر: ٦٩]، «أَنَّى يُؤْفَكُونَ» [المائدة: ٧٥].

وما أشبه ذلك مما يدل على أنه من السفه أن يقر الإنسان بأن الله وحده هو الخالق المالك المدبر ثم يعبد غيره.

«فاعبدوه»، وما هي العبادة؟

العبادة: مأخوذة من الذل، عَبَدَ بمعنى ذَلَّ، ومنه قولهم: طريق معبد ؛ أي: مذلل لسالكيه، فأصلها الذل لكنها بالنسبة لله عز وجل ذلٌّ مقرون بمحبة وتعظيم، فكل من تعبد لله فإن تعبده هذا مقرون بهذين الأمرين المحبة والتعظيم، فبالمحبة يكون الطلب، وبالتعظيم يكون الهرب، فالإنسان إذا أحب شيئًا طلبه، وإذا عظَّم شيئًا هابه وخاف منه، ولهذا كانت العبادة مبنية على الرجاء والخوف.

والعبادة تطلق أحيانًا على هذا المعنى الذي ذكرنا باعتبارها مصدرًا وهو أي التذلل لله مع المحبة والتعظيم، وتطلق أحيانًا على اسم المفعول أو على الشيء المتعبد به، وحينئذ نقول: إنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالصلاة عبادة، والزكاة عبادة، الصوم عبادة والحج عبادة، وبر الوالدين عبادة، وصلة الأرحام عبادة، وهكذا فأحيانًا تطلق على الفعل، وأحيانًا على المفعول.

قال: «فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ».

هذا المشار إليه إما أقرب مذكور أو كل ما سبق في قوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ»، هذا: أي تقوى الله وطاعة رسوله وتحقيق العبادة له.

«صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» أي: طريق، ولا يسمى الطريق صراطًا إلا إذا اجتمع فيه السعة والاعتدال، لأنه مأخوذ من «السَّرط» وهو الابتلاع بسرعة، وإن شئت فقل: من «الزرط» وهو الابتلاع بسرعة والطريق الواسع المستقيم يبتلع سالكيه بسرعة، لأن الضيق لا يمشي الناس فيه إلا رويدًا رويدًا ببطء، وغير المستقيم لا يوصل للغاية إلا ببطء سواء كان انحرافه على اليمين أو الشمال أو من حيث الصعود والنزول، فإنه إذا كان صاعدًا نازلاً أتعب السالك.

إذًا هو: «مستقيم» يعني: لا اعوجاج فيه، ووصفه بالاستقامة بعد أن قلنا إن الصراط هو الطريق الواسع المستقيم الذي ليس فيه اعوجاج من باب التوكيد، كما تقول: هو رجل رجل، ما معنى: رجل رجل؟ يعني: جامع لمعاني الرجولة، كذلك «صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» يعني: جامع لكل معاني الطريق، «هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

زكريا

«عليه السلام»

«ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا»

القصة في كتاب الله

الحمد لله، مالك الملك، مدبر الأمر، مجيب دعاء المضطر إذا دعاه وكاشف السوء، والصلاة والسلام على خير من دعا ربه سرًا وجهارًا ليلاً ونهارًا. أما بعد:

فأخي القارئ الكريم: نواصل معك الحديث عن قصة زكريا (عليه السلام)، وقد لخصها القرآن الكريم في الآيتين التاليتين:

يقول الله تعالى: «وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

وسنقف بعون الله مع هاتين الآيتين من خلال تفصيل القرآن للقصة في سورتي آل عمران ومريم في الوقفات التالية:

أولاً: لماذا دعا زكريا ربه؟



إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: اذكر حال زكريا إذ نادى ربه.

بم توجه زكريا إلى ربه في دعائه؟

الجواب: طلب من ربه الولد، لماذا طلب الولد؟ لأنه يريد الذي يرثه في تبليغ الدعوة إلى الله بعد أن كبرت سنه ووهن عظمه وامرأته عاقر لا تلد، وقد عانى معاناة شديدة مع بني إسرائيل، ويعلم تعنتهم ويخشى على شريعة الله من المحرِّفين والمضللين من اليهود، فقد كان عليه السلام مشغولاً بأمر الدعوة، قال تعالى موضحًا ذلك في سورة مريم: «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا» [مريم: ٤، ٥].

وقد أخطأ من ظن أن زكريا عليه السلام كان يريد من يرث ماله، وإنما أراد عليه السلام وراثة النبوة والدعوة، والأدلة على ذلك كثيرة.

منها:

١- أنه قال: يرثني ويرث من آل يعقوب وميراث آل يعقوب لا يكون إلا النبوة.

٢- كان زكريا - عليه السلام - يعلم أن اليهود تسوسهم الأنبياء ؛ كلما مات نبي قام نبي، ومع ذلك لم يسلم الأنبياء من أذى بني إسرائيل، وقد وصل الأذى إلى القتل.

٣- كان زكريا - عليه السلام - نجارًا يحصِّل رزقه يومًا بيوم ولم يكن من الأثرياء، ولا أصحاب الأموال، ولم يكن يملك العقارات ولا الضياع والمزارع.

٤- جاء في الصحاح عن النبي ﷺ قوله: «لا نُورث، ما تركناه صدقة».

وقد جاء في رواية عند الترمذي بالجمع: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

٥- أن الدنيا كانت أحقر عند الأنبياء من أن يكنزوا لها أو يغتموا لها، وكما قدمنا كان شغل زكريا عليه السلام الشاغل هو الدعوة إلى الله واستمرارها، ولذا سأل الله الولد. هذا والله أعلم.

ثانيا: كيف دعا زكريا ربه؟

قال تعالى: «ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا» [مريم: ٢، ٣].

هذا ذكر أو اذكر أيها النبي إذ رحم ربك عبده زكريا باستجابة دعائه الخفي، وهذا مثل قوله تعالى المتقدم في الأنبياء: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ». وفي الأنبياء جاء ذكر الاستجابة بعد ذكر الدعاء، لكن هنا قدم الاستجابة مقرونة بالرحمة على الدعاء، وكأن في ذلك إشارة إلى سرعة الاستجابة مقرونة برحمة رب العالمين عبده زكريا الذي دعاه دعاءً خفيًا، مظهرًا ضعفه وقلّة حيلته وتمام فقره لرحمة رب العالمين، ولعل في ذلك إشارة إلى حالة اليقين وحسن الظن التي صاحبت الدعاء، ولذا جعله زكريا خفيًا ليقينه أن الله يسمع ويرى، ولذلك نصَّ القرآن على كيفية الدعاء، فقال تعالى: «إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا» قال قتادة في تفسيرها: «إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي»، وفي ذلك إشارة إلى فضل الدعاء الخفي.

ولقد عقد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فصلاً في مجموع الفتاوى (ج١٥ ص١٥-٢١) بيَّن فيه فضل الدعاء الخفي، نقل فيه عن الحسن - رحمه الله - قوله: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفًا». اهـ. وانتهى شيخ الإسلام إلى بيان فضل دعاء السر وأن فيه زيادة إيمان وحسن ظن بالله وحسن يقين، وفيه أدب المناجاة مع الله، ولولا خشية الإطالة لنقلتُ كلامه كاملاً، ومن أراد فليرجع إليه في مكانه، لكن هذا لا يمنع التضرُّع في الدعاء والجهر به، فقد صح عن النبي ﷺ التضرع بالدعاء والجهر به في مناسبات عدة، وللجهر بالدعاء أحوال وللإسرار به أحوال فليكن المسلم على ذكر من ذلك، وعليه مراعاة مقتضى الحال، لكن لا بد أن وراء هذا الدعاء الخفي وحالة اليقين التي صاحبته ظرفًا لابسه، فما هو؟

وهذا يجعلنا نذهب إلى ظرف الدعاء وزمانه.

ثالثا: متى دعا زكريا ربه؟ وأين؟

قال الله تعالى: «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ» [آل عمران: ٣٨]، هنالك أي عندما دخل على مريم في محرابها وهي تتعبد لربها منقطعة لذلك متبتلة، وكان التبتل والانقطاع للعبادة مستساغًا عندهم، وكان زكريا بحكم كفالته لمريم يتابع شؤونها فكلما دخل عليها محرابها وجد عندها طعامًا وفاكهة لا يعلم مصدرها فسألها أنى لك هذا؟

قال تعالى: «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [آل عمران: ٣٧]، «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ».

قال صاحب التحرير والتنوير: «أي في ذلك المكان، قبل أن يخرج، وقد نبَّهه وهيجه إلى الدعاء مشاهدة خوارق العادة عند مريم مع قولها: «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

والحكمة ضالة المؤمن، وأهل النفوس الزكية يعتبرون بما يرون ويسمعون، فلذلك عمد إلى الدعاء بطلب الولد في غير إبَّانه، وقد كان في مكان شهد فيه فيضًا إلهيًا.

ثم يواصل قوله: «ومشاهدة خوارق العادات خولت لزكريا الدعاء بما هو من الخوارق أو المستبعدات، لأنه رأى نفسه غير بعيد عن عناية الله تعالى، لا سيما في زمن الفيوض الإلهية أو مكانها». اهـ.

ولا شك أن الدعاء إذا صادف حضور القلب وإقبال صاحبه على ربه مع وقت من أوقات الإجابة أو مكانها وخرج من نفس زكية فلا يكاد يُرد، فما بالك لو تصادف ذلك كله مع خروجه من نبيٍّ وهو زكريا فهل تراه يرد؟ كلا، ومن هنا جاءت الإجابة سريعة، وجاءت البشرى على لسان الملائكة مقرونة بالفاء التي تدل على سرعة الاستجابة: «فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى» [آل عمران: ٣٩].

فهو - عليه السلام - لم يكد يفرغ من صلاته ودعائه حتى نادته الملائكة لتبشره بمطلوبه، وكما قال تعالى في سورة الأنبياء: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ»، فقد كان لزكريا وزوجه صلة حسنة بالله، وكانا من المداومين على الطاعة المسارعين إليها ومن المخبتين المقبلين على الله.

قال تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ».

أسأل الله تعالى أن يحشرنا وإياكم مع هؤلاء، وإلى لقاء قريب بعون الله.

من الآداب الإسلامية



الاستئذان



إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

فالإسلام فيه من الآداب الشرعية والاجتماعية ما يجب على المسلم أن يتمسك بها في حياته الخاصة والعامة، ومن هذه الآداب: آدب الاستئذان.

وسبق الحديث: عن مفهوم الاستئذان، وحكم الاستئذان، وحكمة الاستئذان، وما يزال الحديث موصولاً في صفة الاستئذان وقد ذكرنا منها:

أ- الاستئذان ثلاث.

ب- تحية أهل البيت السلام.

جـ- السلام أولاً أم الاستئذان،

ونكمل الصفات:

د- على المستأذن أن يذكر اسمه:

ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن يخبر عن اسمه أو كنيته إن كان مشهورًا بها، ويكره أن يقول: أنا، أو نحوها؛ لأن لفظة: «أنا» يعبِّر بها كل أحد عن نفسه، فلا تحصل بها معرفة المستأذن، ففي الحديث المتفق عليه، عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابرًا رضي الله عنه يقول: أتيتُ النبي ﷺ في دَيْنٍ كان على أبي، فدققتُ الباب، فقال: «مَنْ ذا؟» فقلتُ: أنا، فقال ﷺ: «أنا، أنا»، كأنَّهُ كَرِهَهَا. قال الحافظ ابن كثير: وإنما كره ذلك، لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو بكنيته التي هو مشهور بها، وإلا فكل أحد يعبر عن نفسه بأنا، فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان المأمور به.

قال ابن الجوزي: إن السبب في كراهة قول: «أنا» أن فيها نوعًا من الكبر، كأن قائلها يقول: أنا الذي لا أحتاج إلى أن أذكر اسمي، أو نسبي. «عون الباري» (٦ / ٤٥٤).

وقال النووي: ولا بأس بقوله: أنا أبو فلان، أو القاضي فلان، أو الشيخ فلان، إذا لم يحصل التعريف بالاسم لخفائه، وعليه يُحْمَلُ حديث أم فلان، ومثله لأبي قتادة، وأبي هريرة، والأحسن في هذا أن يقول: أنا فلان المعروف بكذا. والله أعلم. (انظر: شرح النووي (١٤ / ١٣٥).

والإسلام قد أعطى بهذا ربَّ البيت الحقَّ في أن يتعرف على شخصية المستأذن، بصورة واضحة، لا لبس فيها، ولا تعريض، ولا التواء، حتى يبني على ذلك: أيأذن له بدخول بيته أم لا؟ لأنه ربما تسمح ظروفه باستقبال شخص دون آخر، تبعًا لاعتبارات عدة.

وقول المستأذن: أنا فلان... ظن البعض أن

لفظة: «أنا» مكروهة لأن فيها تشابه بإبليس في قوله: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ». وهذه الكلمة كثيرًا ما يتلفظ بها الطغاة في ذكر مفاخرهم، حتى قال ابن القيم في «زاد المعاد»: وليحذر كل الحذر من طغيان «أنا» و«لي» و«عندي»، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتُلي بها إبليس، وفرعون، وقارون، ف «أنا خير منه» لإبليس، و«لي مُلك مصر» لفرعون، و«إنما أوتيته على علم عندي» لقارون. وأحسن ما وضعت «أنا» في قول العبد: أنا العبد المذنب، المخطئ، المستغفر، المعترف». اهـ.

ولذا يجوز التلفظ بـ «أنا» ما دام بعيدًا عن الكبر والفخر، والنصوص الكثيرة تدل على ذلك منها: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» [الكهف: ١١٠]، و«أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الأنعام: ١٦٣]، «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» [ص: ٨٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال النبي £ : «أنا» في عدة أخبار منها كما في الحديث المتفق عليه: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»، و«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة». مسلم من حديث أنس.

وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله £ : «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟» قال أبو بكر: أنا... إلخ. وقال علي رضي الله عنه: أنا الذي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ.

وفي حديث أم هانئ: فقلت: أنا أم هانئ.

هـ - عدم استقبال الباب:

من آداب الاستئذان عدم الوقوف في مواجهة الباب، بل عليه أن يقف عن يمين الباب أو يساره، ولا يستقبله من تلقاء وجهه، لأنه قد تنكشف عورات أهل البيت عند فتح الباب.

روى أبو داود وأحمد والبخاري في الأدب المفرد من حديث عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله £ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاءَ وجهه، ولكن من رُكنه الأيمن أو الأيسر، ويقولُ: «السلامُ عليكم، السلام عليكم»، ذلك أن الدُّور لم يكن عليها يومئذ سُتُورٌ. وفي هذا من المحافظة على حرمات البيوت ما لا يخفى، ولا شك أن الناس يتأذون من مخالفة ذلك، وقد يقع بسببه النفور والعداوة.

روى أبو داود وصححه الألباني عن هزيل بن شرحبيل قال: جاء رَجُلٌ فوقف على باب رسول الله £ يستأذنُ، فقام على الباب - وفي رواية: مُستقبلَ الباب - فقال له النبي £ : «هكذا عنك - أو هكذا - فإنما الاستئذانُ من النظر».

وقد أباح الشرع فقء عين من نظر في بيوت الناس بغير إذن ؛ لأن العين الخبيثة التي تطلع على عورات الناس لا حرمة لها، كاليد السارقة.

روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: اطلع رجل من حُجْرة في حُجَرِ النبي £ ومع النبي £ مِدْرَى يَحُكُّ به رأسهُ، فقال: «لو علمتُ أنك تنظر لطعَنتُ به في عينك، إنما جُعل الاستئذانُ من أجل البصر».

وروى مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «من اطّلع في بيتِ قومٍ بغير إذنهم، فقد حَلَّ لهم أن يفقئوا عينه».

وفي رواية: «من اطلع في بيت قومٍ بغير إذنهم، ففقئوا عينهُ فلا دية ولا قصاص».

وفي الحديث المتفق عليه، أن رسول الله £ قال: «لو أنَّ رجلاً اطلَعَ عليك بغير إذن، فخذفته بحصاة، ففقأت عَيْنَهُ ما كان عليك جُناحٌ».

و- غض البصر:

من الأحاديث السابقة يعلم أنه يحرم على المستأذن أن ينظر في بيوت الغير، دون أن ينتبهوا لوجوده، فيحتاطوا لذلك، فيجب عليه أن يغض بصره، بحيث لا يرى عورات أهل البيت عند استئذانه بالدخول، وقد ترجم البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان: بابُ: الاستئذانُ من أجل البصر، وذكر جملة من الأحاديث: منها: «إنما جعل الإذن من قبَلِ البصر». وفي رواية سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر».

ومن النصوص السابقة نعلم أن تلك العين الخائنة يحل فقؤها، وتكون هدرًا.

قال الإمام النووي: الاستئذان مشروع ومأمور به، وإنما جعل لئلا يقع البصر على الحرام، فلا يحل لأحد أن ينظر في حجر أحد ولا غيره مما هو متعرض فيه لوقوع بصره على امرأة أجنبية، وفي هذا الحديث جواز رمي عين المتطلع بشيء خفيف، ولو فقأها فلا ضمان.

وقال العلامة الشنقيطي: اعلم أن أقوى الأقوال دليلاً، وأرجحها فيمن نظر من كوة إلى داخل منزل قوم، ففقئوا عينه التي نظر إليهم بها، ليطلع على عوراتهم أنه لا حرج عليهم في ذلك، من إثم، ولا غرم دِيَةِ العين، ولا قصاص، وهذا لا ينبغي العدول عنه، لثبوته عن النبي £ ثبوتًا لا مطعن فيه. اهـ.

وللحديث بقية إن شاء الله.

باب التراجم

الشيخ العلامة عبد الرحمن ابن ناصر السعدي

١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ

إعداد/ فتحي أمين عثمان

اسمه: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، من قبيلة تميم.

مولده: ولد في بلدة «عنيزة» في القصيم، وذلك في ١٢ محرم ١٣٠٧هـ.

- ماتت أمه وهو ابن أربع سنين، وتوفي والده وهو ابن سبع سنين، وقد استرعى الأنظار منذ حداثته، فقد حفظ القرآن الكريم وعمره إحدى عشرة سنة.

- اشتغل بطلب العلم عند علماء بلده، فكان منهم.

- الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، قرأ عليه الحديث.

- الشيخ محمد بن عبد الكريم السُّبِّل، قرأ عليه الفقه وعلوم القرآن.

- الشيخ صالح بن عثمان القاضي (قاضي عنيزة).

- الشيخ عبد الله بن عايض.

- الشيخ صعب التويجري.

- الشيخ علي السناني.

- الشيخ علي الناصر أبو وادي.

- الشيخ محمد ابن الشيخ بن عبد العزيز المانع.

- الشيخ محمد الشنقيطي.

ولما بلغ الشيخ من العمر ثلاثًا وعشرين سنة جلس للتدريس، فكان يتعلم ويعلم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك، حتى إذا كان عام ١٣٥٠هـ صار التدريس في بلده راجعًا إليه، ومعول جميع الطلبة في التعليم عليه، وكان مجلسه للعلم يعتبر ناديًا علميًا، حيث يحتوي على البحوث العلمية والاجتماعية، حتى تنقلب مجالسه العلمية إلى مجالس علم وعبادة، فكانت مجالسه مع كل فرد بما يناسبه، ولا يحدثه إلا في مواضع نافعة له دنيا وآخرة، بل كان يتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة، ويرجح ما عليه الأكثرية.

مكانته العلمية

كان الشيخ - رحمه الله - ذا معرفة في الفقه وأصوله وفروعه، ولقد كان في أول الأمر متمسكًا بالمذهب الحنبلي تبعًا لمشايخه، ووضع في ذلك مصنفًا في أول ما صنف في الفقه، ثم لما عظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير، صار لا يتقيَّد بمذهب، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي.

لقد كانت بين الشيخ السعدي والشيخ حامد الفقي صلة علمية ومراسلات بحثية وكتابات عامة وخاصة، علمت أنه كان لدى الشيخ السعدي رحمه الله خمسون رسالة من الشيخ حامد صارت آخر الأمر عند تلميذه الشيخ ابن عثيمين رحم الله الجميع.

ولقد كان من أبرز سمات دعوة الشيخ حامد عدم التقليد المذهبي أو التقيد بمذهب.

ولعل هذا الأمر هو الذي جعل الشيخ حامد يوم وفاة الشيخ السعدي في ليلة الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ يكتب في مجلة الهدي النبوي في المجلد ٢١ ما يلي:

«لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي منذ أكثر من عشرين سنة، فعرفت فيه العالم السلفي، المدقق المحقق، الذي يبحث عن الدليل الصادق، وينقب عن البرهان في التوثيق، فيمشي وراءه لا يلوى على شيء، ولا يلقي بالاً لمن يهتفون به، أو يشغبون عليه، من المقلدين المعوقين، أو من الجبناء الخوافين المجاملين.

- عرفت فيه العالم السلفي، الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرفت فيه دعوته القوية الصادقة إلى الأخذ بكل أسباب الحياة العزيزة القوية، الكريمة النقية، فلقد سخر الله للإنسان كل ما في السماوات وما في الأرض.

عرفت الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - قد فهم الإسلام الفهم الصادق إذ حطم عن قلبه أغلال التقليد الأعمى، وخرج إنسانًا كريمًا مشرقًا فيه هدي الفطرة ونورها، مفكرًا ومتدبرًا في سنن الله وآياته الكونية والقرآنية، بنشاط الإنسان الكريم المؤمن بآيات ربه الكونية والقرآنية الحريص عليها المقدر لنعم ربه، الشاكر لها، المعتصم بعروتها الوثقى لإنجاء نفسه والسمو بها مع الأبرار.

- عرفت الشيخ السعدي - أسبغ الله عليه سوابغ مغفرته ورحمته - كذلك، وعرفت أنه اكتسب عزة النفس وكرامتها - التي سمت به أن يأكل لقمة العيش من الدين وباسم الدين، وإنما كان يأكلها من كده وكسبه الطيب بالكدح لها من أسبابها الأخرى.

عرفت فيه أنه اكتسب هذه العزة والكرامة، من يوم أن حطم أغلال التقليد، واستنار قلبه بنور العلم الصحيح من كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ، ومن ثم عاف الوظائف وقيودها ليبقى عزيز النفس كريمًا، يصدع بكلمة الحق، ويقولها للناس ابتغاء وجه ربه.

عرفت أخي الشيخ عبد الرحمن - عوضنا الله فيه خيرًا - صبورًا جلدًا، يسمع كثيرًا، لكنه لا يقيم وزنًا إلا لما يصطفي ويختار مما يسمع وممن يسمع، حريصًا على تحقيق قول الله تعالى: «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ».

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله:

عرفت الشيخ عبد الرحمن السعدي على قلة اجتماعي به، ولكني عرفته من كثرة معايشتي له في كتبه ومؤلفاته فهي القريبة إلى نفسي، والحبيبة إلى قلبي، وهي التي جعلت ما كان بيننا من التقارب والتفاهم - على بعد ما بين الأجسام - وما توثق به الإخاء في الله، وقوى عرى المحبة والمودة في الله.

- رحم الله أخي الشيخ عبد الرحمن وجمعني وإياه وآله وإخوانه ومحبيه في دار كرامته.

قلت: عند كتابة هذه السطور يكون قد مر

على وفاة الشيخ ٥٤ عامًا هـ ويكون قد مر على وفاة الشيخ حامد الفقي ٥١ عامًا هجريًا، ومن النوادر أنك تجد الفرق بينهما في الميلاد ثلاث سنوات أيضًا.

مرضه ووفاته

كان قد أصابه قبل وفاته بخمس سنين تقريبًا - مرض ضغط الدم من كثرة إعمال فكره، فسافر في عام ١٣٧٣هـ إلى لبنان بأمر من الملك سعود وبقي نحو شهرين يُعالجُ حتى شفاه الله وعاد إلى عنيزة واستأنف أعماله رغم تحذير الأطباء له من عدم بذل أية جهود علمية.

يقول ابنه الشيخ عبد الله في ترجمته لأبيه: «في ليلة الأربعاء ٢٢ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ بعد أن فرغ من إملائه الدرس المعتاد بعد صلاة العشاء بمسجد الجامع بعنيزة، أحس بثقل وضعف حركة فأشار إلى أحد تلاميذه أن يمسك يده، ويذهب به إلى بيته وقد أغمي عليه ثم أفاق وتكلم مع أهله ومن حضره بكلام طيب به قلوبهم، ثم عادت إليه نوبة الإغماء ولم يتكلم بعدها، حتى كانت تلك الليلة قبل الفجر بساعة توفاه الله يوم ١٣ جمادى الثانية ١٣٧٦هـ وصُلي عليه في مسجد عنيزة الجامع، ودفن في مقبرة الشهوانية في جمع لم يشهد قبله مثله.

إنتاجه العلمي

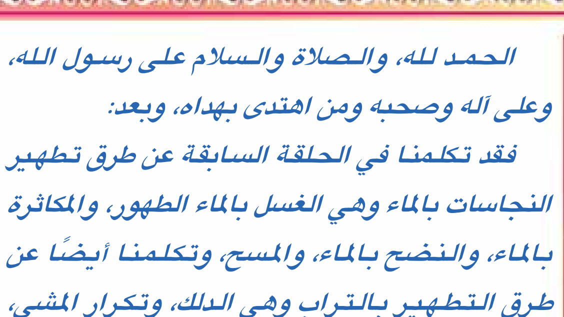
نظرًا لكثرة إنتاجه العلمي رحمه الله فسوف نذكر ما طبع منه:

- تفسير القرآن الكريم المسمى «تيسير الكريم المنان» ٨ مجلدات.
- إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه.
- الدرة المختصرة في محاسن الإسلام، ط أنصار السنة عام ١٣٦٦هـ.
- الخطب العصرية القيمة، ط أنصار السنة.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن، ط أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ.
- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في إغلاله، طبع على نفقة الشيخ محمد نصيف ١٣٦٦.
- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.
- توضيح الكافية الشافية وهو كالشرح لنونية ابن قيم الجوزية.
- وجوب التعاون بين المسلمين.
- القول السديد في مقاصد التوحيد ط١٣٦٧هـ.
- مختصر في أصول الفقه.
- تيسير اللطيف المنان، في خلاصة تفسير القرآن، ط مطبعة الإمام.
- الرياض الناضرة، طبع مطبعة الإمام.
- بهجة قلوب الأبرار، ط السنة المحمدية.
- الإرشاد في معرفة الأحكام.
- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية.
- منهج السالكين، وتوضيح الفقه في الدين.
- القواعد والضوابط والأصول، على العلم المأمول.
- الخطب المنبرية على المناسبات.
- الدين الصحيح لحل جميع المشاكل.
- الفروق والتقاسيم البديعة النافعة.
- الأدلة القواطع والبراهين، في إبطال أصول الملحدين.
- فوائد مستنبطة من قصة الشيخ.
- الرسائل المفيدة في الحياة السعيدة.
- سؤال وجواب، في أهم المهمات.

وقد طبعت هذه الكتب ووزعت مجانًا على نفقة الشيخ رحمه الله.

رحم الله الشيخ عبد الرحمن السعدي وجمعنا وإياه وإخوانه ومحبيه في دار كرامته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.




الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فقد تكلمنا في الحلقة السابقة عن طرق تطهير النجاسات بالماء وهي الغسل بالماء الطهور، والمكاثرة بالماء، والنضح بالماء، والمسح، وتكلمنا أيضًا عن طرق التطهير بالتراب وهي الدلك، وتكرار المشي، ونتكلم اليوم - إن شاء الله - عن الطرق الأخرى لإزالة النجاسة.

١- التقوير: تطهير الجامدات إذا وقعت فيها نجاسة، كأن وقعت فأرة فماتت في سمن جامد، فتطرح هي وما حولها خاصة. (الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ١ / ٢٥٩) لما أخرجه البخاري وغيره من حديث ميمونة رضي الله عنها أن رسول الله £ سُئل عن فأرة وقعت في سمن، فقال: «ألقوها وما حولها فاطرحوها، وكلوا سمنها».

وعلى ذلك فلو وقعت فأرة في سمن جامد أو شيء مما يطعم ولم تمت فلا ينجس ويجوز الأكل منه إلا أن تأنف النفس منه فلا بأس أن يقوم الإنسان بعملية التقوير المذكورة آنفًا، فيطرح ما وقعت عليه الفأرة وما حولها ثم يأكل من طعامه.

ثانياً: الجفاف بالشمس أو الهواء وزوال النجاسة

ذهب الحنفية إلى أن الأرض وكل ما كان ثابتًا بها كالكلأ والبلاط يطهر بالجفاف لأجل الصلاة عليها إلا للتيمم بها بخلاف ما كان نحو البساط والحصير والثوب والبدن وكل ما يمكن نقله فإنه لا يطهر إلا بالغسل، والسبب في التفرقة بين الصلاة والتيمم عندهم هو أن المطلوب لصحة الصلاة الطهارة، ولصحة التيمم الطهورية، والذي تحقق بالطهارة هو الطهارة لا الطهورية. (الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ١ / ٢٤٦).

وذهب الشافعي وأحمد في قول لهما إلى ذلك ولم يفرقوا بين أن يصلي على الأرض التي طهرت بالجفاف وبين التيمم منها، واختار هذا شيخ الإسلام ابن تيمية. (انظر الفتاوى ٢١ / ٢٧٢).

واحتج هؤلاء بأدلة منها:

١- حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كانت الكلاب تبول وتقبل وتدبر في المسجد، فلم يكونوا يرشون شيئًا من ذلك». [رواه البخاري (١٧٤)].

وجه الدلالة أن النجاسة لو كانت باقية لوجب غسل ذلك.

٢- أن النجاسة عين خبيثة نجاستها بذاتها إذا زالت عاد الشيء إلى طهارته.

٣- أن إزالة النجاسة ليست من باب المأمور، بل من باب اجتناب المحظور، فإذا حصل بأي سبب كان ثبت الحكم. (نقلاً من الشرح الممتع، للشيخ ابن عثيمين).

إلا أن هؤلاء العلماء قالوا: إذا كانت ذات جرم (أي جسم) فلا تطهر إلا بالغسل.

وذهب جمهور الفقهاء غير الحنفية إلى أن الأرض إذا أصابتها النجاسة لا تطهر إلا بالغسل، واحتجوا بحديث أنس المتفق عليه: أن أعرابيًا دخل المسجد، فبال في طائفة منه، فزجره الناس، فنهاهم النبي ﷺ، فلما قضى بوله، أمر بذنوب من ماء فأريق عليه.

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ أمر الصحابة بغسل الأرض بالماء من بول الأعرابي، ولم يترك الأرض للشمس حتى تطهرها، فدل ذلك على أن الأرض إذا أصابتها نجاسة فإنها لا تطهر إلا بالغسل.

وأجاب هؤلاء عن حديث ابن عمر رضي الله عنهما: بأن ذلك كان في ابتداء الحال على أصل الإباحة، ثم ورد الأمر بتكريم المساجد وتطهيرها وجعل الأبواب عليها. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١ / ٣٣٤).

ثالثًا: الدبغ

وهو نزع فضول الجلد، وهي مائيته ورطوباته التي يفسده بقاؤها ويطيبه نزعها، بحيث لو نقع في الماء لم يعد إليه النتن والفساد. (مغني المحتاج للشربيني ١ / ٨٢).

ويشترط عند البعض أن يكون ذلك بشيء حريف ؛ كالقرظ، والعفص ونحوهما. (المصدر السابق).

والأرجح أنه لا يشترط، فمتى تم الدبغ ولو بمواد كيماوية كما يقع الآن في كثير من المدابغ جاز ذلك، وعلى ذلك فتطهر جلود الميتة بالدباغ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: تُصدق على مولاة لميمونة بشاة فماتت، فمر بها رسول الله ﷺ فقال: «هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به»؟ فقالوا: إنها ميتة. فقال: «إنما حرم أكلها». متفق عليه.

ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما إهاب دبغ فقد طهر». رواه أحمد.

والإهاب هو الجلد، وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن هذا الحكم منسوخ لحديث عبد الله بن عكيم قال: كتب إلينا رسول الله ﷺ قبل وفاته بشهر: «أن لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب». (رواه أحمد ٤ / ٣١١، وأبو داود ٤١٢٧).

وقد أعل الإمام الحازمي في الناسخ والمنسوخ هذا الحديث بالاضطراب فيما نقله عنه الشوكاني. (انظر نيل الأوطار ١ / ٩٤).

وقد علق شيخ الإسلام على هذا الحديث مع أنه مما يرون تصحيحه بقوله:

وأجاب بعضهم عنه بأن الإهاب اسم للجلد قبل الدباغ، كما نقل ذلك النضر بن شميل وغيره من أهل اللغة، فيمكن أن يكون تحريم الانتفاع بالعصب والإهاب قبل الدباغ ؛ لِمَا ثبت بالنصوص المتأخرة لحديث عبد الله بن عكيم، وأما بعد الدباغ فلم يحرم ذلك قط، بل بين أن دباغه طهوره وذكاته، وهذا يبين أنه لا يباح بدون الدباغ. (مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١ / ٥٤).

والقول بتطهير جلود الميتة بالدباغ عدا جلد الكلب والخنزير وما تولد منهما وهو ما ذهب إليه الشافعية هو الأرجح، جمعًا بين الأدلة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

والله أعلم.

رابعًا: الاستحالة

والاستحالة هي إزالة جميع صفات العين النجسة إلى صفات أخرى مخالفة وإزالة اسمها إلى اسم آخر. (مواهب الجليل للحطاب ١ / ٩٧). إذن هي بمعنى التحول.

وعلى هذا يجب تحقق أمرين للقول بالاستحالة ؛ الأول تغير صفات العين من طعم ولون ورائحة إلى صفات أخرى، والثاني تغير اسم العين إلى اسم آخر.

وقد اتفق الفقهاء على أن الخمر إذا تحولت إلى خل بنفسها صارت طاهرة، واختلفوا فيما عدا ذلك من النجاسات هل تطهر بالاستحالة؟ ولهم في ذلك مذهبان:

الأول: للحنفية والمالكية وهو وجه عند الشافعية، وأحمد في رواية، واختارها ابن تيمية، والظاهرية، والشوكاني، فذهبوا إلى أن النجاسات تطهر بالاستحالة.

الثاني: للشافعية والحنابلة في ظاهر المذهب، وأبي يوسف من الحنفية فذهبوا إلى أن النجاسات لا تطهر بالاستحالة. (أثر الخلاف الفقهي في القواعد المختلف فيها، د. محمود مشعل ص٤٣١، ٤٣٢).

ويرجع الخلاف إلى قاعدة ذكرها الإمام الونشريسي في صورة سؤال وهي انقلاب الأعيان هل له تأثير في الأحكام أم لا؟

وهذه القاعدة لها فروع كثيرة منها الأعلاف المصنعة والمختلطة بالنجاسات، والصابون الذي صنع من زيت نجس، استعمال مياه الصرف الصحي بعد معالجتها. (المصدر السابق ص٤٤٢).

وقد احتج من قال بأن النجاسة تطهر بالاستحالة وانقلاب العين بأدلة أهمها:

أ- قوله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا» قال الجصاص: وفي ذلك دليل صحة قول أصحابنا في النجاسات إذا استحالت أيضًا أنها طاهرة؛ لأنها في هذه الحالة أرض. (أحكام القرآن ٣ / ٣١٢).

ب- أن الشرع رتب وصف النجاسة والطهارة على حقيقة الشيء وماهيته ووصفه التركيبي، فإذا انقلبت حقيقة الشيء أو تغير بعض حقيقته فلا بد أن يتغير حكمه ومسماه. (أثر الخلاف ص٤٣١).

واحتج أصحاب المذهب الثاني بأدلة منها:

أ- عن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة سأل النبي ﷺ عن أيتام ورثوا خمرًا، قال: «أهرقها. قال: أفلا أجعلها خلاً، قال: لا». فدل على أن التخليل لا يجوز، ولو جاز لندبه إليه ﷺ ؛ لأن فيه مصلحة للأيتام، حيث كانوا أورثوها قبل التحريم.

جـ- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها». رواه الترمذي (١٨٣١).

فلو كانت النجاسة تطهر بالاستحالة لما نهى عن أكل لحوم الجلالة وشرب ألبانها ؛ لأن النجاسة فيها تستحيل إلى لحم وبيض ولبن، فلو كانت تطهر بالاستحالة لم يؤثر في أكلها النجاسة. (المصدر السابق ص٤٣٤).

خامسًا: المسح

وقد اتفق الفقهاء على جواز التطهير بالمسح بالحجارة أو الورق ونحوهما في حالة الاستنجاء أي إزالة النجاسة عن المخرجين من بول وغائط ما لم يفحش الخارج ؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليستطب بثلاثة أحجار؛ فإنها تجزئ عنه». (رواه أحمد وأبو داود والنسائي).

وسيأتي بيان ما يتعلق بالاستنجاء من أحكام في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

أسأل الله عز وجل أن ينفع بما ذكرناه، وهو من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



من نور كتاب الله

الاعتقاد الصحيح في المسيح عليه السلام

قال تعالى: «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

من هدي رسول الله ﷺ

حكم اللقطة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وجد دينارًا فأتى به فاطمة، فسألت عنه رسول الله ﷺ، فقال: «هو رزق الله عز وجل»، فأكل منه رسول الله ﷺ، وأكل علي وفاطمة، فلما كان بعد ذلك أتته امرأة تنشد الدينار، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي؛ أد الدينار». [سنن أبي داود].

من فضائل أبي بكر وعمر

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار

من علامات النبوة

عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة. [رواه البخاري].

من دعائه ﷺ

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أعلمكم إلا ما كان رسول الله ﷺ يعلمنا، يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل والجبن والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها». [سنن النسائي].

حكم ومواعظ

عن عروة قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته: «تعلمون أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى، وأنه من أيس مما عند الناس استغنى عنهم».

عن علي رضي الله عنه قال: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال.



من أقوال السلف

قيل لأبي عبد الله: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان، قال: نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه.

عن علي رضي الله عنه قال: ثلاثة لا يقبل معهن عمل: الشرك، والكفر، والرأي، قالوا: يا أمير المؤمنين، ما الرأي؟ قال: تدع كتاب الله وسنة رسوله، وتعمل بالرأي.

من حكمة الشعر

قال المعري في طلب العلا من الأمور:

لا تَدْنُوَنَّ من الشرور وأهلها
فتكونَ من أهل العُلا متباعدا
فالمرء يقعد بالمكارم قائما
ويقوم في طلب المعالي قاعدا

مَن أشر الناس؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر: شر الناس ثلاثة: متكبر على والديه يحقرهما، ورجل سعى في فساد بين رجل وامرأته ينصره على غير الحق حتى فرق بينهما ثم خلف بعده (أي وتزوجها هو)، ورجل سعى في فساد بين الناس بالكذب حتى يتعادَوْا ويتباغَضُوا.

احذر المعصية تقطع عليك الطريق

ومن عقوبتها: أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تعوقه وتوقفه وتقطعه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه، فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكس الطالب. والقلب إنما يسير إلى الله بقوته فإذا مرض بالذنوب، ضعفت تلك القوة التي تسيره، فإن زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعًا يبعُد تداركه. [الجواب الشافي].

من درر العلماء

قال شيخ الإسلام ابن تيميه، رحمه الله: وقد ثبت أنه لا يجوز القسم بغير الله؛ لا بالأنبياء ولا بغيرهم. وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله لا لنبي ولا لغير نبي، وأن هذا نذر شرك لا يوفى به، وكذلك الحلف بالمخلوقات لا ينعقد به اليمين، ولا كفارة فيه، حتى لو حلف بالنبي لم ينعقد يمينه كما تقدم ذكره، ولم يجب عليه كفارة عند جمهور العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين، بل نهى عن الحلف بهذه اليمين. [قاعدة جليلة].

صحح لغتك

قل: مبارك، ولا تقل: مبروك، لأن (مبارك) اسم مفعول من (بارك) وليس (بَرَكَ) فالشيئ إذاً (مبارك)، أي يباركه الله عز وجل، أما مبروك فقد تصلح لوصف المكان بأنه (مبروك به أو فيه أو عليه) أي يبرُك به أو فيه البعير أو الفيل، أو الإنسان إذا برك علي ركبتيه.



أثر السياق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

استكمالاً لما سبق من الكلام عن بيئة الخطاب ومراعاة أحوال المخاطِبين والمخاطَبين وعاداتهم وأعرافهم اللغوية في سنة النبي ﷺ، وكيف كان النبي ﷺ يراعي أحوال الناس المختلفة، بل رأينا صحابة النبي ﷺ يراعون ذلك في تلقيهم وفهمهم للنص، وضربنا أمثلة على ذلك.

ونستأنف البحث ببيان ذلك من سنة النبي ﷺ.

النبي ﷺ ومراعاة أحوال المخاطبين

يُسْأَلُ النبي ﷺ السؤال الواحد من عدة أشخاص، وتكون الإجابة مختلفة، حسب حالة السائل.

المثال الأول

يُسْأَلُ رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور. (متفق عليه).

ويسأله أبو ذر رضي الله عنه: أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله... (متفق عليه).

ويسأله ابن مسعود رضي الله عنه: أي العمل أفضل؟ فقال: الصلاة على مواقيتها، قلت: وماذا يا رسول الله؟ قال: وبر الوالدين، قلت: وماذا يا رسول الله؟ قال: والجهاد في سبيل الله. (صحيح سنن الترمذي، وصحيح الترغيب والترهيب).

- ويسأله أبو أمامة رضي الله عنه: أي العمل أفضل؟ قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له». (صحيح سنن النسائي).

- ويسأله أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أي العمل أفضل؟ قال: العج والثج. (سنن الترمذي وابن ماجه، وغيرهما).

(العج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: ذبح الهدي).

فإجابة النبي ﷺ حسب قرائن الأحوال للسائلين، فمرة يقدم الإيمان بالله ورسوله ثم يردف بالجهاد في سبيل الله، ثم الحج المبرور.

وفي مرة أخرى - كما بحديث ابن مسعود - يقدم الصلاة على مواقيتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله.

- وفي حديث أبي أمامة يقدم الصوم... وهكذا.

- وفي أحاديث أخر يسأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

- ويُسأل ﷺ: أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده».

في «عمدة القاري» ذكر عن القفال الشافعي أنه ذكر وجهين للجمع بين هذه الأحاديث، أحدهما: أنه جرى على اختلاف الأحوال والأشخاص...

والوجه الآخر أن المراد من أفضل الأعمال، كما يقال: فلان أعقل الناس، أي من أعقلهم، وفيه قوله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله»، ومعلوم أنه لا يصير بذلك خير الناس.

وبالوجه الأول أجاب القاضي عياض، فقال: أعلم كل قوم بما لهم إليه حاجة، وترك ما لم تدعهم إليه حاجة، أو ترك ما تقدم علم السائل إليه، أو

في فهم النص



إعداد/ متولي البراجيلي

علمه بما لم يكمله من دعائم الإسلام ولا بلغه عمله، وقد يكون للمتأهل للجهاد، الجهاد في حقه أولى من الصلاة وغيرها، وقد يكون له أبوان لو تركهما لضاعا فيكون برهما أفضل، لقوله ﷺ: «ففيهما فجاهد»، وقد يكون الجهاد أفضل من سائر الأعمال عند استيلاء الكفار على بلاد المسلمين.

قلت: الحاصل أن اختلاف الأجوبة في هذه الأحاديث لاختلاف الأحوال... (عمدة القاري ٧ / ٢).

وفي «تحفة الأحوذي»: «... ومحصل ما أجاب العلماء عن هذا الحديث وغيره مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال أن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين، بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه، أو بما لهم فيه رغبة أو بما هو لائق بهم، أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل من غيره». (تحفة الأحوذي ٤٤٣ / ١، وفتح الباري ٩ / ٢ بتصرف).

المثال الثاني

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دفَّ أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله ﷺ، فقال: «ادخروا ثلاثًا ثم تصدقوا بما بقي»، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسول الله، إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويجملون منها الوَدَكَ، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث، فقال: «إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت، فكلوا وادخروا وتصدقوا». (أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي وغيرهم).

(الدافَّة: قوم يسيرون جميعًا سيرًا خفيفًا، ودافَّةَ الأعراب من يرد منهم إلى المدن، والمراد في الحديث فقراء الأعراب الذين وردوا المدينة وكانوا بحاجة إلى المساعدة والمواساة. يجملون: يذيبون. الودك: الدهن).

فالنبي ﷺ يراعي أحوال الناس (الأعراب) الذين كانوا في احتياج للطعام، وقدموا المدينة ليواسيهم أهلها، فأمر أصحابه بأن لا يدخروا لحوم ضحاياهم فوق ثلاثة أيام، فما يوسِّع باب التصدق على الفقراء، فلما تغيرت الأحوال ووسَّع الله من فضله على المسلمين، نسخ النبي ﷺ نهيه الأول وجوَّز الادخار على إطلاقه.

فوائد في الحديث

فائدة (١): هل أَمْرُ النبي ﷺ في الحديث بالأكل والتصدق يقتضي الوجوب أم لا؟

هذه المسألة فرع عن الكلام في مسألة أصولية وهي «الأمر بعد الحظر».

قال النووي في شرح صحيح مسلم:.. وحمل الجمهور هذا الأمر على الندب أو الإباحة لا سيما وقد ورد بعد الحظر، كقوله تعالى: «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا»، وقد اختلف الأصوليون المتكلمون في الأمر الوارد بعد الحظر، فالجمهور من أصحابنا وغيرهم على أنه للوجوب، كما لو ورد ابتداء، وقال جماعة منهم من أصحابنا وغيرهم إنه للإباحة. (١٢٩ / ١٣).

وكما هو معلوم فالراجح أن الأصل في الأمر الوجوب، ما لم يتصل بالأمر قرينة تنقله من كونه أمر للوجوب إلى أمرًا للاستحباب أو للإباحة، ومما قاله أهل العلم أن الأمر يكون للإباحة ليس للوجوب ولا للندب في مواضع: منها أن يكون الأمر بعد النهي، فإذا أتى الأمر بعد النهي عند جمهور العلماء دل على الإباحة، كما قال جل وعلا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ» [المائدة: ٩٥].

فنهى عن قتل الصيد والمرء محرم، وقال جل وعلا: «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا» [المائدة: ٢].

فأمر بالاصطياد، قال أهل العلم: أمر بالاصطياد بعد النهي عنه، فيفيد عند جمهورهم أن الأمر للإباحة، لأنه أتى بعد النهي.



وعند المحققين أن الأمر بعد النهي يُرجع المأمور به إلى ما كان عليه قبل النهي.

ومثل قوله تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» [الجمعة: ١٠].

أمران ليسا للوجوب، بل هما للإباحة على قول الجمهور.

وعند المحققين يرد الأمر لأصله، ومعلوم أن أصل الانتشار في الأرض، والابتغاء من فضل الله بالبيع ونحوه أنه مباح. (شرح متن الورقات للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، بتصرف يسير).

ويقول ابن كثير عند قوله تعالى: «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا» [المائدة: ٢]: «وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي يثبت على السبر أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي: فإن كان واجبًا رده واجبًا، وإن كان مستحبًا فمستحب، أو مباحًا فمباح.

ومن قال: إنه على الوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة، ومن قال: إنه للإباحة يرد عليه آيات أخرى، والذي ينتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه كما اختاره بعض علماء الأصول، والله أعلم».

وهذا الذي رجحه ابن كثير، قال عنه الجيزاني في كتابه «معالم أصول الفقه»: «...وهذا المذهب هو المعروف عند السلف والأئمة، والذي يدل على ذلك هو الاستقراء، فمن ذلك:

أ- قتل الصيد كان مباحًا ثم مُنع للإحرام، ثم أُمر به عند الإحلال «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا»، فرجع لما كان عليه قبل التحريم وهو الإباحة.

ب- قتل المشركين كان واجبًا ثم منع لأجل دخول الأشهر الحرم، ثم أمر به عند انسلاخها في قوله تعالى: «فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» [التوبة: ٥].

فرجع إلى ما كان عليه قبل المنع وهو الوجوب، وهذا المذهب ينتظم جميع الأدلة ولا يرد عليه دليل.

فائدة (٢): هل يجب الأكل والتصدق من الأضحية؟

قال الطبري:..ولا خلاف بين سلف الأمة وخلفها في عدم الحرج



على المضحي بترك الأكل من أضحيته ولا إثم.

وقال ابن التين: لم يختلف المذهب أن الأكل غير واجب خلاف ما ذكره القاضي أبو محمد عن بعض الناس أنه واجب.

وقال ابن حزم: فرض على كل مضح أن يأكل من أضحيته ولو لقمة فصاعدًا. (عمدة القاري ١٢٧ / ٣١).

واختلف في مقدار ما يؤكل منها وما يتصدق، فذكر علقمة أن ابن مسعود رضي الله عنه أمره أن يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويهدي ثلثه، وروى عن عطاء وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق، وقال الثوري: يتصدق بأكثره...

- ويأكل من لحم الأضحية إن لم تكن منذورة، أما في المنذورة فلا يأكل الناذر سواء كان معسرًا أو موسرًا، وبه قالت الثلاثة، أعني مالكًا والشافعي وأحمد، وعن أحمد يجوز الأكل من المنذورة أيضًا.

- ثم الأكل من الأضحية مستحب عند أكثر العلماء. (عمدة القاري ٢٦٤ / ١٥ بتصرف يسير).

- قال النووي في شرحه لمسلم:...وفيه (الحديث) الأمر بالصدقة منها والأمر بالأكل، فأما الصدقة منها إذا كانت أضحية تطوع فواجبة على الصحيح عند أصحابنا بما يقع عليه الاسم منها (أي بأي جزء منها)، ويستحب أن يكون بمعظمها، قالوا: وأدنى الكمال أن يأكل الثلث ويتصدق بالثلث ويهدي الثلث، وفيه قول أنه يأكل النصف ويتصدق بالنصف، وهذا الخلاف في قدر أدنى الكمال في الاستحباب، ولنا وجه أنه لا تجب الصدقة بشيء منها، وأما الأكل فيها فيستحب ولا يجب، هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة، إلا ما حكى عن بعض السلف أنه وجب الأكل منها، لظاهر هذا الحديث في الأمر بالأكل مع قوله تعالى: «فَكُلُوا مِنْهَا»، وحمل الجمهور هذا الأمر على الندب أو الإباحة... (شرح النووي على مسلم ١٣١ / ١٣).

فائدة (٣): في الحديث قسم من أقسام النسخ، وهو نسخ السنة بالسنة، إذ يحظر رسول الله ﷺ أولاً، ثم يجيز بعد ذلك.

وله أمثلة في سنة النبي ﷺ، كالحديث الذي بين أيدينا، وكحديثه ﷺ: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، [فإنها تذكركم الآخرة]، [ولتزدكم زيارتها خيرًا]، [فمن أراد أن يزور فليزر،

ولا تقولوا هجرًا]». [أصل الحديث رواه مسلم، والزيادات التي بين المعكوفان مخرَّجة في أحكام الجنائز للألباني].

- وكحديثه ﷺ في تحريم زواج المتعة: يا أيها الناس، إني قد أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرَّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهنَّ شيء فليخلِّ سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا. (صحيح مسلم).

المثال الثالث

عن عائشة رضي الله عنها أنه استأذن على النبي ﷺ رجلٌ، فقال: ائذنوا له، فبئس أخو العشيرة، أو بئس ابن العشيرة، فلما دخل، ألان له الكلام، فقلت: يا رسول الله، قلت: ما قلت، ثم ألنت له في القول، فقال: أي عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه - أو ودعه الناس - اتقاء فحشه. (متفق عليه).

فالنبي ﷺ يراعي حال هذا الرجل المستأذن عليه، وأنه سيد في قومه، فيداريه ﷺ رجاء إسلامه وإسلام قومه.

وهذا الرجل هو عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري، وكان يقال له الأحمق المطاع... وقيل: بل هو مخرمة بن نوفل.. وقال الحافظ المنذري: هو عيينة، وقيل: مخرمة...

وهذا الكلام من النبي ﷺ من أعلام النبوة، لأنه ارتد بعده وجيء به أسيرًا إلى أبي بكر رضي الله عنه...

وفي الحديث مداراة من يتقى فحشه وجواز غيبة الفاسق المعلن بفسقه، ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه، وهذا الحديث أصل في المداراة وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسق والظلمة وأهل الفساد. (عمدة القاري ٢١٥ / ٣٢).

وقيل: لم يكن ذلك غيبة وإنما هو نصيحة ليحذر السامع.

قال النووي: واسم هذا الرجل عيينة بن حصن ولم يكن أسلم حينئذ، وإن كان قد أظهر الإسلام فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف حاله، وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعده ما دل على ضعف إيمانه...

وفيه مداراة من يتقى فحشه وجواز غيبة الفاسق.. ولعل الرجل كان مجاهرًا بفسقه، ولا غيبة لمجاهر، وفي «فتح الباري» أن عيينة ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع وأسلم، وكان يقال له الأحمق المطاع.

والفرق بين المداراة والمداهنة، إن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا، وهي مباحة وربما استحسنت، والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا. (مرقاة المفاتيح ٩٧ - ١٠٠ / ١٤ بتصرف).

- وفي رواية للبخاري أن النبي ﷺ قال لعائشة عندما سألته: يا رسول الله، حين رأيت الرجل، قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه، وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ متى عهدتني فحَّاشًا؟

قال الطبري: الفاحش: البذيء اللسان، وأصل الفحش عند العرب في كل شيء خروج عن مقداره وحدِّه حتى يستقبح...

والفحش والبذاء مذموم كله، وليس من أخلاق المؤمنين، وقد روى مالك عن يحيى بن سعيد أن عيسى ابن مريم عليه السلام لقي خنزيرًا في طريق، فقال له: انفذ بسلام ! فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ فقال عيسى ابن مريم - عليه السلام - إني أخاف أن أعوِّد لساني المنطق السوء. (شرح ابن بطال لصحيح البخاري ٢٨٠ / ١٧).

النبي ﷺ ومراعاة أعراف الناس وعاداتهم

كان من عادات العرب - وخاصة البدو منهم - أكل لحم الضب، لانتشاره في بعض أرض العرب، وكان النبي ﷺ يتقذره وتعافه نفسه، ومع ذلك سمح بأكله أمامهُ على مائدته مراعاة لعادات العرب، وليبين للناس أنه ليس بحرام.

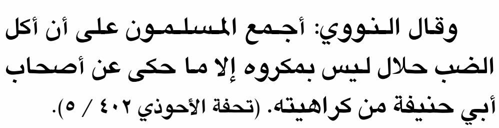
فأخرج البخاري بسنده عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: أُتي النبي ﷺ بضب مشوي فأهوى إليه ليأكل فقيل له إنه ضب، فأمسك يده، فقال خالد: أحرام هو؟ قال: لا ولكنه لا يكون بأرض قومي فأجدني أعافه، فأكل خالد ورسول الله ﷺ ينظر. (صحيح البخاري).

سياق الحديث يدل على أن الضب ليس بمحرم.

فالنبي ﷺ إنما بُعث مشرعًا، ومنه يؤخذ الحلال والحرام، ومن المستحيل في حقه ﷺ أن يُفعل في حضرته المحرم ويسكت عليه ويقره، بل إن خالدًا سأله مباشرة: أحرام هو؟ قال ﷺ : لا.

وفي مسند أحمد عن ابن عمر قال: سأل رجل رسول الله ﷺ وهو على المنبر عن أكل





الضب، فقال: لا آكله ولا أحرمه. (وهو في صحيح سنن النسائي للألباني).

ولأجل هذا غضب ابن عباس رضي الله عنهما، لما تمارى بعضهم في حكم الضب عنده كما أخرج «الحميدي» في مسنده، بسنده عن الشيباني قال: دخلت مع الشعبي المسجد، فقال: هل ترى أحدًا من أصحابنا نجلس إليه، هل ترى أبا حصين، قلت: لا، ثم نظر فرأى يزيد بن الأصم، فقال: هل لك أن تجلس إليه؟ فإن خالته ميمونة رضي الله عنها، فجلسنا إليه، فقال يزيد بن الأصم: ذُكر عند ابن عباس قول النبي £ في الضب: لا آكله ولا أحرمه، فغضب فقال: ما بعث رسول الله £ إلا محلاً أو محرمًا وقد أكل عنده. (مسند الحميدي).

فوائد في الحديث

١- من ترك طعامًا لا يحبه لا لوم عليه، كما فعل النبي £ ، لكن لا يعيبه، كما في صحيح مسلم: ما عاب رسول الله £ طعامًا قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله وإن كرهه تركه.

قال الحافظ: أي مباحًا (الطعام المباح)، أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه. (تحفة الأحوذي ١٥٢ / ٦).

٢- في الحديث جواز قبول الهدية ؛ لأن الضب أهدي إلى رسول الله £ ، وفي رواية للبخاري أن الضب كان محْنوذًا (مشويًا) قدمت به أخت ميمونة رضي الله عنها.

٣- وفيه من احتج بقول ابن عباس على جواز أكل الضب لأنه قال: لو كان حرامًا ما أكل على مائدة رسول الله £ ، قالت الشافعية وهو احتجاج حسن، وهو قول الفقهاء كافة، ونص عليه مالك في (المدونة)، وعنه رواية بالمنع... (عمدة القاري ٨٣ / ٢٠).

ورجَّح الطحاوي في «شرح معاني الآثار» إباحة أكل الضب وقال: لا بأس بأكل الضب وهو القول عندنا، وقال: وقد كره قوم أكل الضب منهم أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد.

ثم قال: «والأصح عند أصحابنا أن الكراهة كراهة تنزيه لا كراهة تحريم لتظاهر الأحاديث الصحاح بأنه ليس بحرام». (عمدة القاري ٣٤٠ / ٣٠).



وقال النووي: أجمع المسلمون على أن أكل الضب حلال ليس بمكروه إلا ما حكى عن أصحاب أبي حنيفة من كراهيته. (تحفة الأحوذي ٤٠٢ / ٥).

وفي «فتح الباري»: «ذكر أن النبي £ ترك أكل الضب». قال:..وأنه بسبب أنه ما اعتاده وقد ورد لذلك سبب آخر أخرجه مالك من مرسل سليمان بن يسار، فذكر معنى حديث ابن عباس، وفي آخره: فقال النبي £ : «كُلا»، يعني لخالد وابن عباس، فإنني يحضرني من الله حاضرة، قال المازري: يعني الملائكة، وكأن للحم الضب ريحًا فترك أكله لأجل ريحه كما ترك أكل الثوم مع كونه حلالاً.

قلت (أي ابن حجر): وهذا إن صح يمكن ضمه إلى الأول ويكون لتركه الأكل من الضب سببان. (فتح الباري ٦٦٥ / ٩).

٤- وفيه دليل على أن التحليل والتحريم ليس مردودًا إلى الطباع ولا إلى أكل ما يقع في النفس، وإنما الحرام ما حرمه الكتاب والسنة، أو يكون في معنى ما حرمه أحدهما ونص عليه. (التمهيد لابن عبدالبر ٢٥١ / ٦).

٥- حديث: أن النبي £ نهى عن أكل الضب. (سنن أبي داود)، أورده الألباني في السلسلة الصحيحة وفي تحقيقه لمشكاة المصابيح، وأشار إلى صحته، وجمع بينه وبين أحاديث الإباحة التي في الصحيحين على أن النهي محمول على الكراهة، لا على التحريم، وفي حق من يتقذره.

٦- أن النبي £ يحرم كما يحرم الله تعالى، وهذا كان يعرفه الصحابة، حتى من أسلم منهم متأخرًا كخالد بن الوليد، رضي الله عنه.

فلو كان النبي £ عندما سأله خالد عن حرمة الضب، قال هو حرام ؛ لحَرُم إلى يوم القيامة.

وفي الحديث: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه». (رواه الترمذي).

وفي رواية لغيره: «ما وجدنا فيه حرامًا حرمناه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه».

وفي رواية أخرى: «ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله». (جمع الألباني بين هذه الروايات في كتابه: منزلة السنة في الإسلام ١ / ١٤).

وللحديث بقية إن شاء الله رب العالمين.



الفصحى

مكانتها وأهميتها وفضل التحدث بها

إعداد: د/ محمد عبدالعليم الدسوقي

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فتسُود في هذه الآونة نزعة غريبة وبدعة منكرة، لكن إلفَنا لها يكاد يذهب بغرابتها وبنكارتها.. هذه النزعة هي الاعتزاز باللغات الأجنبية على حساب الفصحى، والغريب في الأمر هو تفشي هذه الظاهرة وعموم البلوى بها، حتى أضحيتَ ترى من الناس من يغمط لغته - التي من المفترض أن يعتز بها - حقها، وترى من يستهين بعراقتها، وترى من يستصعبها لا لكونها كذلك ولكن لأنه أوهم نفسه بهذا فأصبحت بالنسبة له كما توهم، وترى من يسخر منها وممن يتحدث بها، وترى.. وترى.

وقد ساعد على كل هذا وأعان عليه وسائل الإعلام الفاسدة التي لا تكف ليل نهار عن تصوير من يتحدث بالعربية على أنه رجل متقعر أو متشدد، ولا تكف عن تصويره في هيئة منفرة أو عن أن تأتي به في ثياب رثة، أو في صورة مقززة أو مضحكة، كما ساعد وأعان عليه جعل اللغة الأجنبية - في بلاد العرب والمسلمين - لغة حية فهي التي بها يسهل اللحاق بالوظائف الرسمية وغيرها، وهي التي بها تفتح أبواب الرزق، وهي التي يبدو الإنسان بها متحضراً وفي صورة لائقة.. وهذا كله إنما انعكس أثره بشكل مباشر على سلوك الفرد العادي فهو بما يرى ويسمع ينفر ويشمئز من لغته التي لا يؤتى بها وبمتحدثيها إلا في صورة كريهة، ومن ثم فهو لا يكلف نفسه عناء تعلمها ولا حتى سائر العلوم النافعة المبنية على قواعد اللغة العربية، ولا يأخذ في سبيل ذلك بالأسباب، بينما يبذل الوقت والجهد في تعلم لغة أجنبية ويأخذ في سبيل ذلك بكل الأسباب، ولاسيما مع كثرة الجهات والهيئات الرسمية وغير الرسمية في التهيئة والتشجيع على هذا، ولو بذلنا في سبيل تعلم العربية لغة

القرآن أقل القليل لما وصلنا بها وبأنفسنا إلى هذا الحد.

وربما غاب عن الكثيرين أن هذا تفريط في فريضة، وأنه من مكائد القوى الاستعمارية والمعادية للعروبة والإسلام، وأنه طالما كان على حساب الفصحى فهو مؤد بهم لا محالة وبمرور الوقت إلى النفور من عروبتهم وإسلامهم، ومؤثر على سلوكهم العام بل وعلى مدى التزامهم بالإسلام.. ومن هنا وجب التنويه على أن اللغة العربية والإسلام كالروح والجسد، وإن شئت قلت هي بمثابة الرأس منه.. لا بقاء لأحدهما بدون الآخر، كما أن إحياء أحدهما إحياء للآخر.

فالقرآن الكريم - وهو كتاب الإسلام ودستور هذه الأمة - ليس مترجماً وإنما هو كتاب عربي، نزل بلغة العرب المبينة، وفي شأن ذلك يقول تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» [يوسف: ٢] «أي: لعلكم تفهمونه، وتحيطون بمعانيه ولا يلتبس عليكم، «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ» [فصلت: ٤٤]. (تفسير الكشاف٢ / ٤٤١)، يعني لالتبس عليهم ولقالوا: لولا بينت آياته.

ولقد ورد ما يؤكد عربية القرآن في سور عديدة منها ما جاء في قوله: «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا» [الرعد: ٣٧]، وقوله: «لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» [النحل / ١٠٣]، وقوله: «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» [طه / ١١٣]، وقوله: «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» [الشعراء / ١٩٢- ١٩٥]، وقوله: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» [الزمر / ٢٧- ٢٨]، وقوله: «كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» [فصلت / ٣]، وقوله: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا» [الشورى / ٧]، وقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» [الزخرف / ٣]، وقوله: «وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ» [الأحقاف / ١٢].

وهذا التأكيد على عربية القرآن لا بد أن يكون دافعاً لكل مسلم إلى أن يتعلم الفصحى ما استطاع ويتقن أساليبها، بل ويعتز بأنه ينطق بلغة القرآن والإسلام، أعني باللغة التي أنزل الله بها خير كتبه في خير لياليه على خير رسله إلى خير أمة، فأضحت بهذه المقومات خير لغة ولسانها خير لسان، فالفضل كل الفضل في الحفاظ على هذه اللغة المختارة - وليس سواها - راجع إلى كونها لغة القرآن، إذ لولا نزوله بها لاندرست معالمها، ولانمحت آثارها، ولاعتراها ما يعتري «اللغات الحية المعاصرة، فإن أقصى عمر لهذه اللغات - في شكلها الحاضر - لا يتعدى قرنين من الزمان».
[فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب ص ٤١٤].

كما يعني ذلك التأكيد، أن إحياء العربية وبعثها من جديد في القلوب وعلى الألسنة، هو في حقيقة الأمر إحياء للدين في حياة الناس، والعكس صحيح فهدمها هدم للدين ولتعاليمه.

وإذا كان فرضاً على كل مسلم أن يتعلم فرائض الصلاة وأركان الحج وقيمة الزكاة وغير ذلك من الأمور المتعلقة بمطلوبات الله ومراداته، والضابطة لحركة الحياة والأحياء - حيث لا سبيل لنيل رضاه سبحانه في الدنيا والآخرة إلا بتأديتها والوقوف على حكمها وأسرارها - ففرض عليه كذلك أن يرفع شأن اللغة التي تجعله يفهم أوامر الله وينتهي عن نواهيه، وفي شأن هذا يقول الإمام الشافعي فيما نقله عنه الإمام الشوكاني: «يجب على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما يبلغه جهده في أداء فرضه». [إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٥٢]، ويقول الإمام الماوردي: «ومعرفة لسان العرب فرض على كل مسلم من مجتهد وغيره». [السابق]، وما ذكراه لا يختلف كثيراً عما ذكره غيرهما من أهل العلم، ولهم في ذلك كل الحق، فاللغة هي لباب الإسلام وروحه وحفظها حفظ له، وإلا تحول الإسلام إلى دين ذي طقوس وإلى شعائر تمارس من غير فهم لمنهجه ولا معرفة لنظرته في أمور الحياة والأحياء ولا في شئون الدنيا والآخرة.

وكلام أهل العلم على هذا النحو، له أبعاده فهو لا يأتي هكذا من فراغ، إذ جميعهم يدرك عن يقين، أن المعوّل عليه في العمل بهذا الدين هو تدبر ما أنزل الله من الكتاب وفهم هذا الدين

حق الفهم، وليس على نحو ما عليه سائر الأديان الأخرى إن صح التعبير.. كما يدرك جميعهم أن فرائض هذا الدين الخاتم وواجباته لا يتم تعلمها إلا بتعلم اللغة التي نزل بها، فهم - من ثم - يُعملون القاعدة الشرعية التي تقرر أن (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، ويبين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حين يشير في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم إلى «أن نفس اللغة من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». [الاقتضاء ص ٢٠٧]، ويقول في نفس المصدر: «إن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغاً عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم». [السابق ١٦٢].

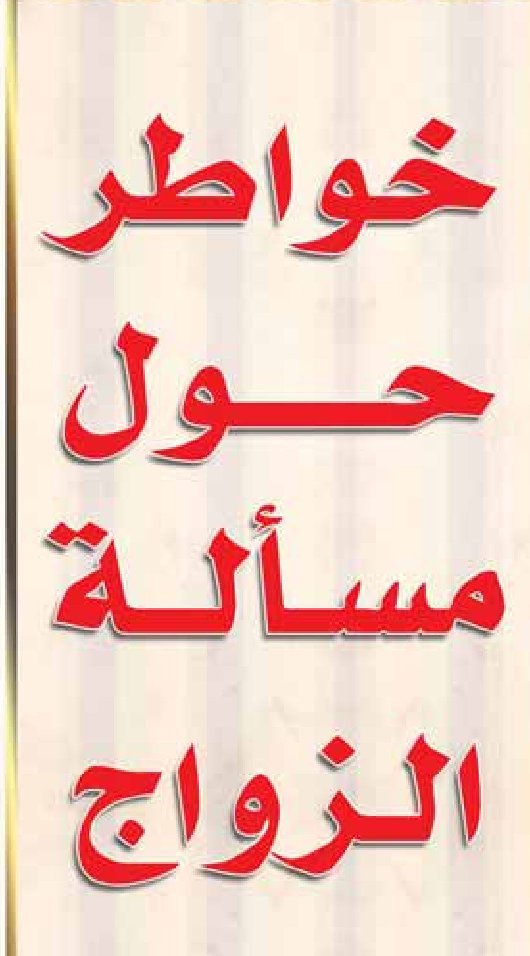
ويقول في الجزء الثاني والثلاثين من مجموع فتاويه: «معلوم أن تعلم وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم على تجنب اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسنة المائلة عنه، فيُحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابها، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصاً وعيباً». [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٢ / ٢٥٢].

على أن قوله - رحمه الله -: «وتعلم العربية فرض على الكفاية»، هو مما يزيد من تحمل العبء على دارسي العربية وعلوم أصول الدين والشريعة من خريجي وطلبة الجامعات والمعاهد والمدارس الإسلامية، في طول البلاد - التي رضيت الإسلام ديناً - وعرضها، إذ بهم يمكن أن تتحقق الكفاية التي إذا لم تتوفر في إفهام الناس دينهم من خلالها، أثم الجميع.. وتخوفي وانزعاجي وتشككي من عدم تحقق الكفاية، هو بسبب واقع المسلمين الآن، ولاسيما في البلاد غير الناطقة بالعربية والمحسوبة على الإسلام، إذ يشير ذلك الواقع المرير إلى غياب الوعي الديني في حق السواد الأعظم من المسلمين وعدم فهم الكثير منهم لشرائع الإسلام، وعدم القدرة على استيعاب الكثير من أحكامه ناهيك عن شيوع السفور والاختلاط والتحلل الفكري والتأثر المفرط بثقافات الغرب وبغيرها من الأفكار الهدامة، تلك الأشياء التي ساهمت بشكل مباشر - ولا تزال - في هجران الدين ولغته.

لقد نقل ابن تيمية - رحمه الله - عن الإمام أحمد كراهة الرطانة من أجل هذا ونحوه، كما كره تسمية الشهور بالأسماء الأعجمية، والوجه عند الإمام أحمد في ذلك: «كراهة أن يتعود الرجل النطق بغير العربية»، وأردف شيخ الإسلام يعلل لذلك قائلاً: «لأن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون». [اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٣]، قال ابن الأثير: «الرِّطانة، بفتح الراء وكسرها والتراطُنُ: كلام لا يفهمه الجمهور.. والعرب تخص بها غالباً كلام العجم». [النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٣٣].

وهذا كله يدعونا لأن نفخر بلغتنا، وبخاصة أنها لغة دين حيث حملت لنا آخر الرسالات، وأريد لها أن تكون لسان الوحي، وقدر لها أن تستوعب رسالة الإسلام وأن تختزل مضامين الرسالات السابقة، وأن تطوي المنهج الذي ارتضاه الله لخلقه إلى يوم الدين، فهي - من ثم - وعاء ثقافتنا وعنوان هويتنا.. ولا أقل من أن تتضافر الجهود على تفعيلها، وأن تصدر القرارات السيادية التي تدين وتجرم من يستهين بها أو يستهزئ بمتحدثيها، والتي تمكن لها وتفرض استعمالها في مختلف شئوننا وثقافاتنا وفي سائر مناحي حياتنا، على نحو ما جرى في سوريا حين صدر القرار الجمهوري رقم ٤ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠٠٧ القاضي «بتكوين لجنة للتمكين للغة العربية والمحافظة عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها». وما جرى مثله في دول العراق والإمارات والسعودية.

وللحديث بقية إن شاء الله، والله الموفق.



خواطر حول مسألة الزواج

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد أمر الله تعالى بتزويج كل من لا زوج له من الرجال، وكل من لا زوج لها من النساء، وذلك صيانة للمجتمع من الفاحشة ومنعًا لاختلاط الأنساب وتلبية لاحتياجات الناس، يقول عز من قائل: «وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ» [النور: ٣٢].

ووعد الله تعالى الناكح الذي يريد العفاف بأن يغنيه إن كان فقيرًا، يقول تعالى: «إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» [النور: ٣٢].

ويقول £ : «ثلاثة حقٌ على الله تعالى عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف». رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وحسنه الألباني.

ورغب رسول الله £ في الزواج والإنجاب فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». متفق عليه.

وقال £ : «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم». رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

هل الزواج صفقة؟

يرى كثيرون من أهل الدنيا أن الزواج صفقة، فالشاب يلهث غالبًا وراء المرأة الجميلة، وأحيانًا وراء ذات المال أو الحسب دون أن يتحرى الدين، بينما يحث الرسول الكريم £ الشباب على السعي للظفر بذات الدين، يقول £ : «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». متفق عليه.

كذلك معظم النساء (بل وأهلهن أيضًا) من طلاب الدنيا يلهثون وراء الشاب صاحب المال (وربما الجاه)، وميسور الحال دون التحري للدين، بينما هدي سيد الخلق £ هو تزويج النساء لأهل الدين من الرجال، يقول £ : «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما، وحسنه الألباني.



إعداد: د/ حسن إبراهيم حجاب

الصداق:

الصداق أمر الله تعالى به الرجل للمرأة، يقول تعالى: «وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً» [النساء: ٤]، ويجوز للزوجة أن تتنازل عنه أو عن شيء منه لزوجها عن طيب خاطر، يقول تعالى: «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا» [النساء: ٤].

ولا حد لأكثر المهر ولا حد لأقله، لقوله تعالى: «وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا» [النساء: ٢٠].

ولقوله ﷺ : «التمس ولو خاتمًا من حديد». متفق عليه.

ولقوله ﷺ : «زوجتكها على ما معك من القرآن». متفق عليه.

لكن تيسير الزواج يقتضي عدم المغالاة في المهور ؛ لأن كثيراً من الناس يقلد بعضهم بعضًا، ويتنافسون في المبالغة في تكاليف الزواج، وهذا يرهق كاهل المسلمين، وليعلم الجميع أن المال مال الله استخلفنا فيه وسيحاسبنا من أين اكتسبناه وفيم أنفقناه.

فترة الخطبة:

الخاطب أجنبي عن المخطوبة، وليس له عليها إلا حق واحد وهو ألا يتقدم غيره ليخطبها على خطبته، ولا يجوز للخاطب النظر إلى المخطوبة بعد انتهاء رؤيتها له ورؤيته لها وإعلان الموافقة بينهما، ولا التحدث إليها بالهاتف ولا من وراء حجاب إلا في حدود الحاجة والضرورة، كما لا يحل له مجالستها (حتى ولو بالنقاب أو في وجود محرم)، وبالطبع لا يحل له مصافحتها ولا الخلوة بها ولا الخروج معها حتى لو كان ذلك في وجود محرم، إذ هو أجنبي عنها حتى يعقد عليها.

فإذا عقد عليها ولم يدخل بها جاز له النظر إليها والتحدث إليها ومصافحتها ومجالستها والخروج معها في وجود محرم (بدون خلوة)، لأن الخلوة تجعلها في حكم المدخول بها عند الكثير من العلماء، ولا يصح أن يتم ذلك دون موافقة أهلها وعلم أهله ودون إشهار، وذلك تجنبًا للمشاكل عند حدوث نزاع بين الزوجين أو بين أسرتيهما خصوصًا في حالة وفاة الزوج واكتشاف حدوث حمل للزوجة.

حفلات الزواج:

وليمة العرس مشروعة ؛ لقوله ﷺ : «أولم ولو بشاة». رواه مسلم.

لكن ينبغي على أصحاب الوليمة الاحتراز من المحاذير الكثيرة التي تصاحب ولائم العرس في كثير من الأحيان التي منها:

أولاً: دعوة الأغنياء وترك الفقراء، يقول ﷺ : «بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء». متفق عليه.

ثانيًا: الاختلاط بين الرجال والنساء وما يصاحبه من العري الذي يستحيل معه غض البصر.

ثالثًا: عمل الوليمة في الأماكن التي تكثر فيها المعاصي مثل النوادي والفنادق حيث مجاورة شاربي الخمور ولاعبي القمار وحمامات السباحة حيث العري، ولا ينبغي لمؤمن أن يجاور الفساق الذين تتنزل عليهم اللعنات التي تُخشى أن يصيب الحاضرين نصيب منها.

رابعًا: ذهاب العروس إلى «كوافير» رجل ليزينها بمستحضرات التجميل ويعبث بشعرها وينظر إليها.

خامسًا: الغناء والموسيقى والرقص والتصوير «بالفيديو» أو الهاتف المحمول، والصور تجمع الأجانب من الرجال والنساء والشباب والشابات، وغير ذلك من المنهيات الشرعية.

سادسًا: امتناع بعض المدعوين عن الحضور لغير سبب شرعي، والنبي ﷺ يقول: «من لا يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله». رواه مسلم.

سابعًا: السهر إلى وقت متأخر من الليل مما يصعب معه إدراك صلاة الفجر مع الجماعة الأولى، ناهيك عن الغفلة أحيانًا عن صلاة العشاء.

ثامنًا: الإسراف الشديد في الطعام والشراب وقيمة إيجار القاعة التي تقام فيها الوليمة، والله تعالى يقول: «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا» [الإسراء: ٢٧].

والحمد لله رب العالمين.

هل يُطلب المدد من المقبور

إعداد/ محمد رزق ساطور

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن أعجب ما ابتلينا به هذه الأيام من يزعمون أن المدد يطلب من الأموات، ويعيب علينا هؤلاء أننا نقول: مددك يا الله، ولا نقول: مددك يا فلان، وكأن التوحيد أصبح تهمة عند هؤلاء !!

وهذا ليس بغريب على من قل علمهم وتضاءل فهمهم، فقد صدق فيهم قول الله تعالى: «وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» [الزمر: ٤٥]، وقوله جل شأنه: «ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ» [غافر: ١٢].

والمَدَد: هو ما يمد منه فيكون سببًا في تقويته وإعانته، كما قال الله تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ» [الأنفال: ٩].

أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نظر نبيُّ الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ وأصحابه ثلاثمائة وبضعةَ عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، فقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك إنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ»، ويقول سبحانه: «بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ» [آل عمران: ١٢٥]، ويقول سبحانه: «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا» [الإسراء: ٦]، فالمدد منه سبحانه، ولذلك من أراد شيئًا فليسأل الله تعالى وليطلب منه جل شأنه، فقد أخرج الترمذي وأحمد أن النبي ﷺ قال: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف».

وأخرج أبو داود وابن ماجه وأحمد عن العلاء قال: سمع عبد الله بن المغفل ابنًا له وهو يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة. قال: يا بُني، إذا سألت فاسأل الله الجنة وتعوذ من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون في آخر الزمان قومٌ يعتدون في الدعاء والطهور. والاعتداء في الدعاء ممنوع، قال الله تعالى: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» [الأعراف: ٥٥]، فالدعاء له آداب وشرائط وهي أسباب الإجابة، فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الإجابة.

وفي «تفسير البحر المحيط»: قال العلماء: الاعتداء في الدعاء على وجوه منها الجهر الكثير، والصيّاح، وأن يدعو أن يكون له منزلة نبي، وأن يدعو بمحال، ونحوه من الشّطط، وأن يدعو طالب معصية، وقال ابن جريج والكلبي: الاعتداء رفع الصوت بالدعاء، وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة، وقيل: هو الإسهاب في الدعاء.

قال القرطبي: وقد ذكر وجوهًا من الاعتداء في الدعاء، قال: ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب ولا في السنة، فيتخير ألفاظًا مقفاة، وكلمات مسجعة، وقد وجدها في كراريس هؤلاء - يعني المشايخ - لا معوّل عليها، فيجعلها شعاره يترك ما دعا به رسول الله ﷺ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء.

قال ابن جبير في الاعتداء في الدعاء: أن يدعو على المؤمنين بالخزي والشرك واللعنة.

ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل غير الله، وأن يطلب المدد من غير الله تعالى، والخطر العظيم في ذلك أن من سأل غير الله، فقد أثبت لهذا الذي دعاه من دون الله أنه يسمع نداءه حين دعاه، بل وأثبت له أنه يراه ويقدر على إجابة دعائه ويعلم حاله ويستطيع أن ينفعه ويكشف عنه الضر ويستجيب له، وإثبات كل ذلك لغير الله شرك لأنه أعطى وأثبت صفات الله تعالى للمخلوق، ووصفه بما لا يليق إلا بالله تعالى، وصدق الله إذ يقول: «ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» [فاطر: ١٣، ١٤]، ويقول سبحانه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ» [الحج: ٧٣].

أفيليق بالعبد المسلم أن يشبه الخلق بالله ؟ أو أن يصف المخلوق بصفات الخالق سبحانه، «أَفَمَنْ

يَخْلُقُ كَمَنْ لاَ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ» [النحل: ١٧]، ويقول سبحانه: «وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ (٢٠) وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» [فاطر: ١٩].

فالضلال في دعاء غير الله أنه تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذه علامة المشرك أنه لا ينزه الله تعالى، بل يسوي بين الله وخلقه، قال الله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» [الأنعام: ١] أي: يساوونه بخلقه.

ثم كيف يترك الحي الذي لا يموت ويلجأ للأموات الذين لا يشعرون ولا يستطيعون، قال الله تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» [الأحقاف: ٥، ٦].

إن الذين يلجأون إلى الموتى في قبورهم وينزلون بهم الحاجات ويسألونهم القربات ويعتقدون أنهم قادرون على الإجابة حتى أن الواحد منهم يقف خاشعًا أمام القبر يكلم الرفات ويسجد على العتبات ويسكب العبرات ويقول للأموات: جئت لك، والعارف لا يُعرَّف، والشكوى لأهل البصيرة عيب، معتقدًا أن الميت يعلم السر والخفاء، فقد جعلوا الأموات أندادًا يحبونهم كحب الله ويدعونهم كما يدعى الله، ويعتقدون فيهم النفع والضر، وهذه ألوان من الشرك، قال الله تعالى: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً» [الإسراء: ٥٦]، ويقول تعالى: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ» [سبأ: ٢٢].

لقد آن لنا أن نسأل الله وحده ولا نطلب المدد إلا منه، ولا ندعو إلا إياه، ولا نعرف خوفًا أو طمعًا أو رغبة أو رهبة أو إنابة أو توكلاً أو رجاءً إلا على الله الواحد القهار، فقد كان هذا هو حال نبينا £ خير العباد وحال أهل الإيمان جميعًا.

وقد أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي £ إذا كَرَبَهُ أمرٌ قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث». وبإسناده قال: قال رسول الله £ : «ألظوا بياذا الجلال والإكرام».

وأخرج أبو داود والنسائي وأحمد عن أنس أنه كان مع رسول الله £ جالسًا ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات الأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي £ : «لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئل به أعطى».

وكذا علم فاطمة رضي الله عنها كيف تدعو، فقد أخرج الحاكم عن أنس قال: قال رسول الله £ لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تلكني إلى نفسي طرفة عين».

وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن عبد الله قال: قال رسول الله £ : ما قال عبدٌ قطّ إذا أصابه همٌّ وحزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله عز وجل همه، وأبدله مكان حزنه فرحًا. قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات. قال: أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن.

وقال بعض العلماء: «وقد أجمع أهل العلم من أصحاب النبي £ – رضي الله عنها – وأتباعهم من علماء السنة على أن الاستغاثة بالأموات من الأنبياء وغيرهم، أو الغائبين من الملائكة أو الجن وغيرهم، أو بالأصنام والأحجار والأشجار أو الكواكب ونحوها من الشرك الأكبر، لقول الله عز وجل: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» [الجن: ١٨]، وقوله سبحانه: «ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» [فاطر: ١٣، ١٤].

وقوله عز وجل: «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» [المؤمنون: ١١٧].

ولذا يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتوجه بالعبادة لله رب العالمين وحده لا يشرك به شيئًا، ولا يطلب المدد والغوث إلا من الله تعالى، حتى لا يقع في الشرك، فقد قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا» [النساء: ٤٨]، وقال سبحانه: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» [المائدة: ٧٢].

وقال سبحانه: «حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» [الحج: ٣١].

نسأل الله أن يجنبنا الشرك ما علمنا منه وما لم نعلم، وأن يتقبل منا صالح العمل، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.











الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

العناد عند الأطفال

فالعناد سلوك مشين يهدد الأسرة ويصل بها إلى طريق مسدود، حتى إن العناد عند الكبار عواقبه وخيمة لأنه يعني اتباع الهوى وتصعيد المواقف، وتوسيع رقعة الشر، وتكثير المفاسد، وعدم النظر في العواقب، فإذا تعلم الطفل أو جُبل على شيء من هذا فإنه يسبب إزعاجًا كثيرًا لأهله وأوليائه ومعلميه، وقد يقع من عمر سنتين حتى البلوغ، وكثير من الأمهات تشتكي هذه الشكوى بأن الطفل عنيد، بل شديد العناد، لا يلتزم بتعليمات الأبوين، ولا يمتثل لنظام البيت والتربية، فيصر على ما يفعل وفي أغلب الأحوال إن لم يكن كلها يكون هذا الطفل خاطئًا.

والعناد شقيق الكِبْر، وقد قال رسول الله £ : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر». الحديث [صحيح الأدب المفرد].

وفيه: «الكِبْر بَطَر الحق وغَمْط الناس» أي ظلمهم.

لذا وجب تربية الأولاد على عدم العناد حتى لا يشبوا على هذا الخلق المشين.

أسباب العناد عند الأطفال

١- أحيانًا يكون عناد الطفل رد فعل لإصرار الأبوين أحدهما أو كلاهما على أن يفعل الطفل شيئًا لا يرغبه، كأن يطلب منه أبوه عدم ركوب الدراجة حتى يتماثل جرح في رجله للشفاء، أو يمنعه من نزول الشارع لما فيه من خلطة سيئة، والطفل يريد الانطلاق غير مدرك للعواقب.

٢- أحيانًا يرفض الطفل اللهجة الجافة والأسلوب العنيف، فإذا أتت فرصة لتدليله والتساهل معه، فإنه بدلاله يلجأ إلى الاعتراض عند إرخاء الحبل معه.

٣- الميوعة والتدليل وتلبية كل رغبات الطفل دونما تعليم وتوجيه وإرشاد يجعل الطفل عند



مواقف الجد والحسم لا يستجيب، بل يعترض ويعاند.

٤- تسمية الطفل ووصفه بأنه معاند وحكاية ذلك للآخرين يجعل الطفل يتعرف على العناد شكلاً وموضوعًا ويتمادى فيه، ويتعامل دائمًا على أنه المعاند كما سموه.

٥- إظهار الضعف والاستسلام أمام الطفل على أنه لا يقدر أحد على عناده.

٦- وجود تفرقة بين الأولاد تجعل الذي يشعر بالغبن والظلم كثير الاعتراض والامتعاض واللجوء إلى العناد.

٧- الكذب على الأولاد وعدم الوفاء لهم بالوعود التي أخذها الأب أو الأم على عاتقه بأن ينجزها لهم، وكذلك التدخل المباشر في كل سلوكيات الطفل يكسبه الملل والضجر.

٨- التهديد بما لا يستطيع الأبوان تنفيذه يجعل الطفل يفقد الثقة في أي تهديد ووعيد، وبالتالي لا يخاف التهديد بعد ذلك فيعارض ما طلب منه، ويصر على ما يفعل.

٩- إحراج الطفل أمام الآخرين يؤثر عليه نفسيًا واجتماعيًا ويجعله كثير التبرم والاحتجاج.

١٠- الحرمان للطفل من احتياجاته، وتركه للرفقة السيئة، فيتطبع بطباعهم، ويتخلق بأخلاقهم السيئة، فإذا أراد أهله توجيهه رفض السمع والطاعة وأصر على موقفه وعناده.

١١- ظهور سلوكيات العناد من الأبوين أمام الأبناء (القدوة السيئة)، فيقلدون أهلهم، وأكثر ما يتميز به الأولاد ظاهرة التقليد لأفعال الآخرين.

علاج العناد عند الأطفال

نرشد الأبوين أولاً إلى أن الرفق سبيل الوصول إلى الهدف المأمول والرفق مأمور به شرعًا، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي £ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» [رواه مسلم]. وقال رسول الله £ : «والله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه» [رواه مسلم].

فعلى المربين الترفق مع الأولاد بعيدًا عن الجو المشحون بالعصبية والعنف، ونطمئن الآباء والأمهات إلى أن الطفل ليس مولودًا عدوانيًا، وإنما ولد على الفطرة السوية؛ لقول رسولنا £ : «ما من مولود إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه». [رواه البخاري].

وتكون هذه السلوكيات حالات عارضة لا يفعلها الطفل بالمفهوم الذي يعرفه الكبار، وإنما تبدو منه عفوية بدون خبث الطوية.

٢- الابتعاد عن تمييع الطفل وتدليله بطريقة يريد فيها أن يقضي ما هو قاض، ولا بد من الموازنة بين عدم القسوة عليه، وبين الابتعاد عن تمييعه وتدليله؛ لقوله £ : «ولا يجني والد على ولده». [صحيح الجامع].

ويقول £ : «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت». [صحيح الجامع].

٣- عدم التدخل المباشر المرهق في كل صغيرة وكبيرة من حياة الطفل، وتجنب كثرة نقده وتوبيخه وإحراجه أمام الآخرين، ويستفاد هنا من غيرة الأطفال بعضهم من بعض، بأن يُمدح أمامه طفل مًّا بأنه يسمع ويطيع لأبويه ولا يخالفهما.

وكثير من الآباء يضيق على أولاده، لماذا تجلس هكذا؟ لماذا تمشي هكذا... إلخ.

٤- تجنب التعدي على ممتلكات الطفل من اللعب والهدايا التي يعتز بها ؛ لأن ذلك يثير كوامن في نفسه ويدفعه إلى العدوان والعناد، والثأر والانتقام.

٥- ينبغي أن يكون هناك موازنة بين عدم حرمان الطفل من إشباع غرائزه وطفولته، وبين عدم تلبية كل طلبات الطفل بحيث يصعب بعدها الاعتذار له، فلا تحرم الطفل حرمانًا شديدًا، فإن هذا يكسر نفسه ويحرق سلوكه، ولا تلبِّي كل رغباته، فيصعب المنع عند اللزوم.

٦- تعليمهم بالقصص الهادفة التي يفهمون منها الطاعة والامتثال ويستحسن أن يُجرى لهم مسابقة وأسئلة فيما سمعوا، ويكافأ الفائز، والذي يسلك سلوكًا يوافق الفهم الصحيح تزيد مكافأته، وأول ذلك الثناء عليه أمام إخوانه وأقرانه لتشجيعهم واستزادته هو من حسن السلوك.



٧- ينبغي أن يكون الآباء قدوة حسنة لأولادهم، فالأب والأم مرآة تنعكس فيها صورة أبنائهم، وقد قالوا:

مشى الطاووسُ يومًا باعوجاج
فقلّد شكلَ مشيته بَنُوهُ
فقال: عَلام تختالون؟ قالوا:
بدأتَ به ونحنُ مقلدوهُ
فخالفْ سَيْرَكَ المُعْوَجَ واعدلْ
فإن عدَّلْتَ نحن معدِّلوهُ
أمَا تعرفْ أبانا كلُّ فرعٍ
يُجاري في الخُطَى مَنْ أدَّبُوهُ
وينشأ ناشئُ الفتيان منَّا
على ما كان عوَّده أبوهُ

٨- المربي الذي يجمع بين الرغبة والرهبة، بين الهيبة والحب يسلم أولاده بإذن الله من السلوكيات المشينة، فينبغي للمربي مع أولاده أن يكون شديدًا حازمًا في غير عنف، وأن يكون سهلاً لينًا في غير ضيق.

٩- الصدق مع الأولاد والوفاء بالوعود لهم، إن الأطفال يراقبون سلوك الكبار ويقتدون بهم، فلا يجوز خداعهم بأي حال، فيراعى الصدق معهم في الحديث عند تسليتهم أو إضحاكهم أو سرد قصص وحكايات عليهم، ولا يصلح أن يدخل الكذب في شيء من هذا.

عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطيك، فقال رسول الله ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها: «أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتبت عليك كذبة». [السلسلة الصحيحة].

١٠- تجنب التهديد بما لا يقدر على إنفاذه الأبوان لأنه يدرب الطفل على التمرد والعصيان.

١١- تجنب إقناع الطفل بأنه معاند حتى لا يتعامل على أنه هكذا.

١٢- عدم منع الأطفال من اللعب: قال العلماء: إن منع الطفل من اللعب دائمًا يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الخلاص ويحتال في ذلك، وينفعل ويعاند.

وقد كان النبي ﷺ يسمح لأم المؤمنين باللعب ببناتها وهي عروس في بيته ﷺ، وكان يداعب أبا عمير أخا أنس بن مالك حينما مات الطائر الذي كان يلعب به، بل كان الحسين رضي الله عنه وهو صغير له جَرْو (كلب صغير) يلعب به، ولم يعنف الحسين أو يزجره أو يحرمه، إن توفير اللعبة المفيدة للطفل يرفع عنه الحرمان، ويدخل عليه السرور، ويستجيب لميوله وغرائزه، فيعينه على بر أبويه.

١٣- الابتعاد عن لوم الطفل وعتابه بصورة كبيرة مملة: إن كثرة الملامة تجر الندامة، والإسراف في التوبيخ والتأديب يزيد الطفل في فعل القبيح المعيب، وقد كان رسول الله ﷺ أبعد الناس عن ذلك، فما كان يكثر العتاب للطفل، واللوم على تصرفاته، وكان ﷺ بهذا المسلك يغرس في نفس الطفل روح الحياء، وينمي فيه فضيلة الانتباه والملاطفة والارتباط بذلك الخلق العظيم، وقد ظهرت هذه النتيجة والثمرة النضيجة في سلوك أنس رضي الله عنه الذي خدم النبي ﷺ عشر سنين، حيث يقول: «والله ما قال لي رسول الله ﷺ: أف، ولا لِمَ صنعت؟ فإذا لامه أحد من أهل بيت النبي ﷺ، قال: دعوه فلو قُدِّر أو قُضي أن يكون كان». [رواه أحمد، وإسناده صحيح].

فينبغي الصبر على الأولاد حتى لا ينبت فيهم العناد، فإذا كان الطفل كبيرًا وقارب البلوغ وكان من طبعه العناد، فلن يصلح معه الشدة والقسوة، وفرع الشجرة إذا تُرك لفترة طويلة مائلاً فإنه يصعب تعديله فجأة وبسرعة، ولكن مع طول الوقت، فلا يصلح مع الطفل الكبير إلا الإقناع والاحتيال ووضع الثقة في الولد وحل مشاكله بلطف والمعاملة بالحكمة، «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا».

١٤- وجماع هذا كله اللجوء إلى الله العلي الكبير، الذي بيده الملكوت والمقادير، والتضرع إليه بصلاح النشء والذرية، والله تعالى يقول: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ» [النمل: ٦٢]، ويقول: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» [غافر: ٦٠]، وينبغي أن يكون الدعاء مصحوبًا باليقين بالإجابة كما قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة». حسنه الألباني في صحيح الجامع.

والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

يسأل سائل: جدتي تبلغ من العمر ٨٠ سنة، تعتقد في الأولياء وتستغيث بهم وتعمل ما يسمى بالحضرة، وعندها ابن متوفى وتعتقد فيه الولاية وعملت له ضريحًا في بيتها، وصندوق يضع الناس فيه النقود، وتعتقد أنه يضر غيره، وتعتقد أيضًا أنه تنزل روحه على الأحياء وتتكلم بلسانهم، ويعتقد معها كثير من أهل القرية ذلك، فكيف أتعامل مع جدتي وهي في هذه السن، وهل يجوز لي أن آكل من طعامها؟

معتقدات خاطئة

الجواب: إن أهل القبور لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا يملكون حياة ولا نشورًا فكيف يملكون لغيرهم، والأموات قد أفضوا إلى ما قدموا، ولا يجوز أبدًا دعاؤهم ولا الاستغاثة بهم ؛ لقول الله تعالى: «وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» [القصص: ٨٨]، «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِه مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» [فاطر: ١٣، ١٤]، فسمى الله تعالى دعاء الأموات شركًا وكل المعتقدات التي وردت في السؤال معتقدات فاسدة، فلا يجوز بناء الأضرحة في البيوت، ويزداد الأمر خطرًا إذا بنيت للاعتقاد في صاحبها العقائد المخالفة للإسلام، ولا يجوز جمع نذور في صناديقها ؛ لقول النبي ﷺ: «لعن الله من نذر لغير الله»، واللعنة طرد من رحمة الله تعالى.

وعليك أيها السائل الاجتهاد في دعوة جدتك إلى الحق وكذلك أهل القرية، واجتهد في طلب العلم ليمكنك دعوتهم إلى العلم الشرعي والاعتقاد الصحيح، ويمكنك الاستفادة ببعض الدعاة الذي يحسن الحديث إلى أمثال هؤلاء، ولجدتك خاصة؛ لو وجدت امرأة مسنة على الهدي الصحيح وتستطيع أن توصل إليها الهدي النبوي الصحيح في مثل هذه الأمور لكان أبلغ، ولا مانع من الأكل من مال جدتك، خاصة أنك لم تحدد مصدرًا محرمًا لهذا المال، والله أعلم.

ميراث الأرض المملوكة بوضع اليد

يسأل السيد إبراهيم أحمد يقول: لدينا منزل ورثناه بوضع اليد أنا وأخي وزوجة أبي وأختي المتوفاة وأختي الأخرى على قيد الحياة، وقد قامت الدولة ببيع البيت لواضعي اليد فاشتريت أنا وأخي، فهل لباقي الورثة في هذا المنزل شيء؟

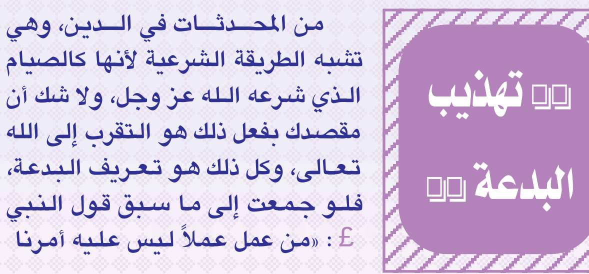
الجواب: كل ما تركه الميت وفيه منفعة لورثته فإن هذه المنفعة تقسَّم بنسبة تقسيم الميراث الشرعية «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ»، وعليه فعندما عرضت الدولة بيع المنزل الموروث بوضع اليد كان ينبغي أن يستشار جميع الورثة بحيث يدفع كل وارث نصيبه في هذا المنزل للذكر مثل حظ الأنثيين أيضًا، ومن أراد أن يتنازل فلا يدفع شيئًا ولا يمتلك أيضًا، فله ذلك أو أراد أن يبيع نصيبه لأحد إخوته بعد شرائه من الدولة فلا حرج، ومعلوم أن الدولة تبيع مثل هذه الأراضي بأسعار رمزية، فلجميع الورثة حق الانتفاع بهذا العرض الموروث عن ميتهم، أما الأخت المتوفاة فإن كانت توفيت قبل الميت الموروث فلا شيء لها ولا أولادها، وإن كانت توفيت بعد وفاة الأب فيظل نصيبها باقيًا ينتفع به أولادها بعد أن يدفعوا حصتهم في الشراء من الدولة، كل هذا يتم ولو كان عقد الشراء من الدولة باسم شخص واحد أو أخوين كما ورد بالسؤال.

يسأل: محمد ممدوح سليمان - الإسماعيلية - القصاصين الجديدة - يقول:

هل يجوز تعديل صور الاحتفال ببعض المناسبات مثل المولد النبوي، ويوم الميلاد الشخصي وغيرها إلى صيام هذه الأيام مثلاً أو التصدق فيها أو قراءة القرآن، أم أن الأمر محمول على التحريم بالكلية؟

الجواب: تعريف البدعة أيها السائل يرشدك إلى الجواب، قال العلماء في تعريف البدعة: أنها شيء محدثٌ في الدين يشبه الشيء الشرعي، يُقصد بالسلوك: عليه التقرب إلى الله عز وجل أو المبالغة في التعبد.

تهذيب البدعة



وعليه فإنك تريد أن تصوم في مثل يوم الميلاد الشخصي مثلاً، والصوم عبادة، لكنه في يوم ميلادك من المحدثات في الدين، وهي تشبه الطريقة الشرعية لأنها كالصيام الذي شرعه الله عز وجل، ولا شك أن مقصدك بفعل ذلك هو التقرب إلى الله تعالى، وكل ذلك هو تعريف البدعة، فلو جمعت إلى ما سبق قول النبي £ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أي: مردود، فسلم وأعم من هذا كله قول الله تعالى: «اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ» [الأعراف: ٣].

ويقول النبي £ : «خير الهدي هدي محمد £ ».

ويقول £ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»، فهل رأيت ما تقوله وتقترحه في هدي النبي £ وأصحابه؟ ولماذا تتعبون أنفسكم فيما لم يرد عن النبي £ فعله، هل لأنكم فعلتم كل ما فعل وصار الوقت عندكم زائدًا فبحثتم عما لم يفعل؟

قال الله تعالى لنبيه £ : «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [آل عمران]، ولما سُئل النبي £ عن صيام يوم الاثنين [طول السنة وليس في ربيع الأول فقط]، قال: «ذلك يوم وُلدت فيه، وفيه أُرسل إليَّ». فهل فعلوا مثل ما فعل وسكتوا عما لم يفعل؟

واجب المسلمين نحو الفكر المنحرف

يسأل: أبو معاوية - قرية أم السعود - دقهلية: يقول: ما الواجب علينا لنشر السنة في بلادنا والعمل على منع تسرب أفكار الروافض والفرق الضالة؟

الجواب: قال الله تعالى لنبيه الكريم £ : «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» [يوسف: ١٠٨]، وقال جل شأنه: «وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا» [الفرقان].

فالدعوة إلى الله تعالى ينبغي أن تكون على بصيرة، والبصيرة هي العلم، وعلى المسلمين أن يجتهدوا في تحصين أنفسهم وتسليحها بسلاح العلم، قرآنًا وسنة لكي يستطيعوا أن يقيموا حجة الله تعالى على عباده دون خلل أو تشويه، كما ينبغي أن يكون بجوار العلم حكمة وخُلق حسن، وهذا الذي كان عليه رسولنا £ وسلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم، تصديقًا لقول ربنا جل وعلا: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» [النحل: ١٢٥]، والله الموفق.

علاج المرأة عند الطبيب

يسأل: ع. م. ط - تلا منوفية - يقول: زوجتي تريد أن تذهب إلى طبيب النساء لاعتقادها أنه أكثر كفاءة من الطبيبة وأنا أمنعها من ذلك، فهل هذا يُعد ظلمًا عليها؟

الجواب: لا يجوز للمرأة أن تذهب إلى طبيب مع وجود طبيبة ؛ خاصة الطبيبة المسلمة، فإن لم توجد الطبيبة المسلمة فلها أن تذهب إلى طبيبة غير مسلمة، فإن لم توجد فتذهب إلى طبيب مسلم، لكن يشترط أن يكون معها زوجها أو محرم منها لكي لا يكون خلوة بين المرأة والطبيب، والضرورة تؤخذ بقدرها، يقول الله تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» [التغابن: ١٦].

بيع أو شراء الذهب بالتقسيط

يسأل: أسامة شرف بنداري من المنصورة يقول:
أريد أن أشتري لزوجتي ذهبًا وليس عندي المبلغ كاملاً، فهل يمكن التقسيط عند البائع بزيادة عن الثمن الأصلي لو اشتريت الذهب فورًا؟ وما علة المنع إذا كان ممنوعًا؟

الجواب: لا يجوز بيع الذهب وشراؤه بالتقسيط ؛ لأن الذهب والأوراق النقدية من الأصناف الربوية التي حرم النبي £ بيعها وشراءها إلا بشروط، فقال عليه الصلاة والسلام: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مِثلاً بمثل، سواءً بسواء، يدًا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد». [رواه مسلم].

وقال £ : «لا تبيعوا الذهب بالذهب، إلا مِثلاً بمثل، ولا تشفُّوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز».

فهذه الأصناف التي حددها النبي £ يحرم فيها الربا ؛ أي الزيادة إذا كانت من جنس واحد، كما بالحديث: «ذهب بذهب، أو فضة بفضة» إلخ، فيحرم فيها ربا الفضل (الزيادة)، وربا النسيئة وهو (التأخير) ؛ لقوله £ : «يدًا بيد» يعني يكون التسليم فوريًا لا تأخير فيه.

أما إذا اختلفت هذه الأصناف كالذهب بتمر، أو الذهب بأوراق نقدية فيجوز البيع مع التفاضل والفرق بشرط أن يكون التسليم يدًا بيد لقوله £ : «إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد»، ومعنى التسليم يدًا بيد أنه لا يجوز التفرق قبل التقابض.

وعلة التحريم في بيع الذهب بالتقسيط أن النقود الورقية والذهب جنسان ربويان، يشترط فيهما التقابض في مجلس البيع، وإذا لم يتم ذلك وقع ربا النسيئة (التأخير)، وهو مجمع على تحريمه.

أما بيع الذهب القديم بالذهب الجديد فهما جنس واحد لا يصلح التبادل فيهما إلا بشرطين، التساوي في الوزن (الجرامات)، والتقابض في المجلس، والمخرج من ذلك أن يبيع القديم ويقبض ثمنه، ثم يشتري الجديد ويدفع ثمنه، والله ولي التوفيق.

حكم دعاء الإمام ورفع يديه أثناء خطبة الجمعة؟

يسأل: أبو هاشم عليوه - شبين القناطر- قليوبية: عن حكم دعاء الإمام ورفع يديه أثناء خطبة الجمعة؟

الجواب: أفاد أهل العلم أن دعاء الإمام في خطبة الجمعة للمسلمين مشروع؛ لأن النبي £ كان يفعل ذلك، وعلى الإمام ألا يلتزم دعاءً معينًا، بل ينوع الدعاء بحسب الأحوال، وله أن يكثر أو يقل حسب الحاجة إلى ذلك، وكان النبي £ يكرر الدعاء ثلاثًا في بعض الأحيان، وربما كرره مرتين، فالسنة للخطيب أن يتحرى ما كان يفعله النبي £ في خطبته ودعائه، أما عن رفع اليدين فقد أفاد الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن رفع اليدين والإمام يخطب يوم الجمعة ليس بمشروع، وقد أنكر الصحابة على بشر بن مروان حين رفع يديه في خطبة الجمعة، ويستثنى من ذلك دعاء الاستسقاء، فقد ثبت عن النبي £ أنه رفع يديه يدعو الله بالغيث وهو في خطبة الجمعة، ورفع الناس أيديهم معه، وما عدا ذلك لا يجوز، والله تعالى أعلم.

سلس الريح

ويسأل: ع. ع. أ. شبرا الخيمة - قليوبية- يقول:

١- عندي مرض انفلات الريح، فماذا أفعل يوم الجمعة، خاصة أني أتوضأ قبل الأذان بفترة لكي أذهب إلى المسجد مبكرًا، وكذلك ماذا يفعل من يكون في الحرم المكي أثناء الحج، وكذلك الجمع بين صلاتين لكل من: ١- الحج ٢- المسافر؟

الجواب: نسأل الله تعالى أن يشفي السائل وجميع مرضى المسلمين، وقد اشترط العلماء من شروط الصلاة دخول الوقت في حق من به حدث دائم كسلس البول، أو سلس الريح، وهذا السائل يريد أن يذهب إلى الجمعة مبكرًا لينال ثواب السبق في الساعات الأولى، فجزاه الله خيرًا على حرصه على الخير والمعروف، وعليه أن يتوضأ إذا وصل إلى المسجد ويصلي تحية المسجد ثم يجلس ولا يبالي بالريح الذي يخرج منه، ثم يستمع إلى خطبة الجمعة وهو على حاله حتى إذا اقترب الإمام من نهاية خطبته قام وتوضأ لفريضة الجمعة، ويستحب لو كان يجلس في مكان قريب في مؤخرة المسجد ليكون قريبًا من مكان الوضوء، وحتى يتحاشى تخطي رقاب الجالسين ذهابًا وإيابًا ويتعرض لنظر الناس إليه والحرج، وهنا سيفوته فضيلة الصف الأول، ولعل الله تعالى يجعل له جزاء من جلس في الصف الأول؛ لأنه منعه العذر، خاصة إذا كان قبل العذر من المواظبين على التبكير إلى الصلاة والصف الأول، وذلك لقول الرسول ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمله صحيحًا مقيمًا»، وهذا من رحمة الله تعالى ويُسر هذا الدين، قال تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» [البقرة: ١٨٥].

والشطر الثاني من السؤال غير صحيح، لكن على كل حال من كان في الحج وكان مسافرًا آفاقيًا أي من الآفاق البعيدة فإنه يغتنم الفرصة ليصلي الفريضة مع جماعة المسجد الحرام، متمًا خلف الإمام كل صلاة في وقتها لأنه متفرغ لهذا الشأن، لأن الصلاة في المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة في ما سواه من المساجد الأخرى.

موقف الحاج من صيام أيام التشريق

٢- وللسائل سؤال آخر يقول فيه: سمعت أنه يُكره صيام أيام التشريق للحاج، فماذا يفعل من يواظب على صيام الأيام البيض، خاصة أن اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجة من أيام التشريق؟

الجواب: أيام التشريق من الأيام التي يحرم صيامها على الحاج وغيره، إلا المتمتع الذي لم يجد الهدي، ولم يتمكن من الصيام قبل عرفة، فله أن يصومها، كما ورد في الأثر عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما. (البخاري ١٩٩٧). والذي يريد أن يصوم الأيام البيض من ذي الحجة يصوم (١٤، ١٥، ١٦)، ولا يصوم الثالث عشر. والله أعلم.

الطلاق بسبب عيب في الزوج أو الزوجة

يسأل: الأستاذ محمد الحملي أبو عبد المنعم - من التلين شرقية - يقول:

ما حكم الشرع في المرأة المتزوجة إذا طلبت من زوجها الطلاق بسبب ظهور عيب فيه بعد الزواج؟ مثل أنه عقيم لا ينجب؟ وما هو حقها إذا طلقها الزوج لاكتشافه بعد الزواج أنها عقيم؟

الجواب: الإنجاب وتحصيل النسل من أهم مقاصد الزواج لتعليل النبي ﷺ أمره لأمته بالنكاح بحدوث المكاثرة في الذرية، فقال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم». أخرجه أحمد والنسائي، وصححه العراقي والألباني.

فلا حرج على المرأة إذا طلبت الطلاق لعقم زوجها؛ لما في العقم من ضرر عليها وهو فوات مصلحة ومقصد هو من أعظم مقاصد الزواج وهو الإنجاب، وتكون هي عندئذ مختلعة ولزوجها أن يوافق على الطلاق أو يمتنع حتى تفتدي نفسها منه، وافتداؤها يعني التنازل عن حقوقها المالية، أما إذا كانت الزوجة هي العقيم ولم يكتشف ذلك إلا بعد زواجها وأراد الزوج أن يطلقها لهذا فله ذلك ولا حرج عليه، ويعطيها جميع حقوقها المالية. والله أعلم.



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم لبيان حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص بما فيها من افتراءات واشتهرت أيضًا في كتب التفاسير، وهذه القصة تصطدم مع الأحاديث الصحيحة والحقائق العلمية.

وإلى القارئ الكريم حقيقة هذه القصة الواهية:

أولاً: متن القصة

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها! فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كثيب من تراب، فأخذ كفًا من ذلك التراب بكفه، قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا كعب حام بن نوح، قال: فضرب الكثيب بعصاه، قال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب، قال له عيسى: هكذا هلكت؟ قال: لا، ولكن مت وأنا شاب، ولكنني ظننت أنها الساعة، فمن ثَمَّ شبت. قال: حدثنا عن سفينة نوح! قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات: فطبقة فيها الدوابُّ والوحوش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير، فلما كثر أرواث الدواب، أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل، فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر بجَرَز السفينة (أي: صدرها أو أوسطها) يقرضه، أوحى الله إلى نوح: أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفأر، فقال له عيسى: كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت؟ قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر، فوجد جيفة فوقع عليها، فدعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت، قال: ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها، وطين برجليها، فعلم أن البلاد قد غرقت، قال: فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان، فمن ثَمَّ تألف البيوت، قال: فقلنا: يا رسول الله، ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا؟ قال: كيف يتبعكم من لا رزق له؟ قال: فقال له: عُدْ بإذن الله، قال: فعاد ترابًا.

ثانياً: التخريج

أخرج هذه القصة الإمام ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧ / ٤٠) (ح١٨١٥١) قال: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج، عن مفضل بن فضالة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال. فذكر القصة.

وأورد هذه القصة الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٢ / ٤٤٤) كذلك، وأورد هذه القصة الإمام القرطبي في «تفسيره» (٤ / ٣٣٥٥).

ثالثاً: التحقيق

هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة مسلسل بالعلل:

الأولى: المفضل بن فضالة:

١- أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٨ / ٣٢٩ / ٦٧٤٤) قال: المفضل بن فضالة بن أبي أمية القرشي، أبو مالك البصري.

ثم بين من روى عنهم وفيهم علي بن زيد بن جُدعان، كذلك وبين من رووا عنه وفيهم حجاج بن محمد المصيصي.

ثم نقل أقوال علماء الجرح والتعديل فيه:قال عباس الدوري، عن يحيى بن معين: ليس بذاك.

وقال أبو عبيد الآجري، عن أبي داود: بلغني عن علي أنه قال: في حديثه نكارة، وقال الترمذي: شيخ، بصري، والمفضل بن فضالة المصري أوثق منه وأشهر.

وقال النسائي: ليس بالقوي.

قلت: لذلك أورد الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥٦٣) وقال: «مفضل بن فضالة» ليس بالقوي.

٢- وقال الحافظ ابن حجر في التقريب (٢ / ٢٧١): «المفضل بن فضالة بن أبي أمية، أبو مالك البصري ضعيف».

٣- قلت: وأورده الإمام الذهبي في الميزان (٤ / ١٦٩ / ٨٧٣٢)، وأقر ما أورده الإمام المزي عن الأئمة: الإمام النسائي، والإمام الترمذي، والإمام يحيى بن معين، ثم أورد له الإمام المزي حديث: «أخذ النبي ﷺ بيد المجذوم ووضعها معه في قصعته»، وبين أنه منكر، ثم ذكر قول الإمام ابن عدي: «لم أر له أنكر من هذا». اهـ.

٤- قال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤ / ٢٤٢ / ١٨٣٥): «ليس مشهوراً بالنقل».

العلة الثانية: علي بن زيد بن جُدْعان:

١- قال الإمام المزي في تهذيب الكمال (١٢ / ٢٦٩ / ٤٦٥٤): علي بن زيد بن جدعان، وهو علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مُليكة، واسمه زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة القرشي التيمي، أبو الحسن البصري المكفوف، مكي الأصل، ثم بين من روى عنهم وفيهم يوسف بن مهران.

ثم نقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

قال أيوب بن إسحاق بن سافري: سألت أحمد عن علي بن زيد، فقال: ليس بشيء.

وقال أحمد بن إسحاق بن حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: علي بن زيد ضعيف الحديث.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي، عن يحيى بن معين: ليس بذاك القوي.

وقال معاوية بن صالح، عن يحيى بن معين: ضعيف.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين: ليس بذاك.

وقال مرة أخرى: ضعيف في كل شيء.

وقال عباس الدوري، عن يحيى بن معين: ليس بشيء.

وقال في موضع آخر: ليس بحجة.

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: واهي الحديث، ضعيف، فيه ميل عن القصد، لا يحتج بحديثه.

وقال أبو زرعة: ليس بقوي. وقال النسائي: ضعيف. وقال أبو بكر بن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه. وقال سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد: حدثنا علي بن زيد... يقلب الأحاديث.

قلت: لذلك لم يخرج له البخاري في صحيحه ولم يرو له مسلم احتجاجًا، بل مقرونًا بثابت البناني.

٢- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢ / ٣٧): علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدي، التيمي البصري، أصله حجازي، وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان، ينسب أبوه إلى جد جده، ضعيف.

٣- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ١٠٣): «علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي الأعمى، كان يهم في

الأخبار ويخطئ في الآثار حتى كثر ذلك في أخباره، وتبين فيها المناكير التي يرويها عن المشاهير فاستحق ترك الاحتجاج به، مات بعد سنة سبع وعشرين ومائة، وقد قيل سنة إحدى وثلاثين ومائة. اهـ.

العلة الثالثة: يوسف بن مهران:

أورده الحافظ ابن كثير في «تهذيب التهذيب» (١١ / ٣٧٣) قال: «وروى عن ابن عباس، وروى عنه علي بن زيد بن جدعان، وقال الميموني عن أحمد: يوسف بن مهران لا يعرف ولا أعرف أحدًا روى عنه إلا علي بن زيد». اهـ.

قلت: وأقر ذلك الإمام الذهبي في الميزان (٤ / ٤٧٤ / ٩٨٨٨)، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢ / ٣٨٢): «يوسف بن مهران البصري، وليس هو يوسف بن ماهك، ذاك ثقة وهذا لم يرو عنه إلا ابن جدعان هو لين الحديث من الرابعة». اهـ.

قلت: والرابعة هي طبقة جل روايتهم عن كبار التابعين كالزهري وقتادة وبهذا يتبين أن هذه القصة واهية منكرة وسندها مسلسل بالضعفاء، وفيهم من يهم في الأخبار ويخطئ في الآثار، وكثر ذلك في أخباره وتبين فيها المناكير.

لذلك أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله هذه القصة في «البداية والنهاية» (١ / ١٣٩) ثم قال: «وهذا أثر غريب جدًا». اهـ.

قلت: ولقد تبين من التحقيق الذي أوردناه آنفًا أن هذا الاثر الذي جاءت به القصة غريب لم يروه عن ابن عباس إلا يوسف بن مهران ولم يروه عن يوسف بن مهران إلا علي بن زيد بن جدعان، ولم يرو عن علي بن زيد إلا المفضل بن فضالة، فهو أثر غريب منكر مسلسل بالضعفاء، لذلك نقل الإمام السيوطي في التدريب (٢ / ١٨٢) عن الإمام أحمد بن حنبل قال: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء». اهـ.

ونقل عن مالك قال: «شر العلم الغريب وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس». اهـ.

ثم قال السيوطي: «وروى ابن عدي عن أبي يوسف قال: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب». اهـ.

قلت: ولقد نقل الإمام القاسمي في «قواعد التحديث عن فنون مصطلح الحديث» (ص١٢٥) قول الإمام أحمد بن حنبل وقول الإمام مالك.

وبهذا يتبين أن هذه القصة من الغرائب المنكرة جدًا فليحذر من يتعلق بهذه الواهيات من الظن بأن أب الخنزير هو الفيل حيث تبين أن القصة واهية منكرة فلا يصح لها أصل شرعي ولا حقيقة علمية حيث تبين من علم الوراثة أن كروسومات نواة خلية الخنزير تخالف تمامًا كروسومات نواة خلية الفيل في عددها وفيما عليها من جينات.

رابعًا: علاقة المسخ بالقردة والخنازير

قال تعالى: «وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ» [المائدة: ٦٠]. قلت: أخرج الإمام أحمد في «المسند» ح(٤١٢٠) قال: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا الثوري عن علقمة بن مرثد عن المغيرة بن عبد الله اليَشْكري، عن معرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال رجلٌ: يا رسول الله، القردةُ والخنازير، هي ممَّا مُسخَ؟ فقال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل لم يُهلك قومًا فيجعل لهم نسلاً وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك». اهـ.

وأخرج هذا الحديث الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب «القدر» ح(٣٣) قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وحجاج بن الشاعر - واللفظ لحجاج - (قال إسحاق: أخبرنا، وقال حجاج: حدثنا) عبد الرزاق به (أي بنفس مسند أحمد).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرحه» لصحيح مسلم: قوله ﷺ: «وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك» أي: قبل مسخ بني إسرائيل، فدل على أنها ليست من المسخ. اهـ.

قال تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» [يس: ٣٦].

وقال تعالى: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» [الذاريات: ٥٠].

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.





إعداد/ عبده الأقرع

الحمدُ لله، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلامَ دينًا، وأصلي وأسلم على سيدنا ونبينا محمد، بعثه الله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ، وبعد:

فمع المحبط الحادي عشر من محبطات الأعمال وهو: «الإحداث في الدين».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله £ : «من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ».

وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». [البخاري: ٢٦٩٧، ومسلم: ١٧١٨].

أفاد هذا الحديث: أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود.

وإذا كانت العبادة مردودة فإنه يحرم على الإنسان أن يتعبد بها لله.

وقوله: «ليس عليه أمرنا»: إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان عمله جاريًا تحت أحكام الشريعة موافقًا لها فهو مقبول، ومن كان خارجًا عن ذلك فهو مردود.

فمن تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة فعمله باطل مردود عليه، فقد رأى النبي £ رجلاً قائمًا في الشمس، فسأل عنه، فقيل: إنه نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل وأن يصوم، وقد روي: أن ذلك كان في يوم جمعة عند سماع خطبة النبي £ وهو على المنبر، فنذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ما دام النبي £ يخطب، إعظامًا لسماع خطبته £ ، فأنكر رسول الله £ عليه هذا العمل، فقال £ : «مُرُوه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه». [صحيح الجامع: ٥٨٦٩].

وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي £ ، يسألون عن عبادة النبي £ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي £ ، قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله £ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». [متفق عليه].

معنى «تقالوها»: أي: عدوها قليلة.

«فمن رغب عن سنتي»: أي: أعرض عنها.

حكى الإمام الشافعي - رحمه الله - إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على أن من استبانت له سنة الرسول £ لم يكن له أن يدَعها لقول أحد، وهو كلامٌ حق لا يستراب فيه وكيف تُترك نصوص الشارع المعصوم، ويؤخذ بأقوال غيره ممن يجوز عليه الخطأ؟ فإن كل أحد يؤخذ

من قوله ويترك إلا صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه.

وحكى في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطافُ بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاءُ من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

فكلُّ عبادات المتعبدين يجبُ أن تكونَ محكومةً بحكم الشرع في أمره ونهيه، جارية على نهجه، موافقة لطريقته، وما سوى ذلك فمردود على صاحبه ؛ لأن رسول الله £ لم يفارق الدنيا إلا بعد أن أكمل الله هذا الدين ورضيه، وأتم به نعمته، «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا» [المائدة: ٣].

فالخيرُ في اتباع الرسول £ ، فقد رتب على اتباعه £ حب الله تعالى وهي المنزلةُ التي فيها يتنافسُ المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمَّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوتُ القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاءُ الذي من عَدمه حلَّت بقلبه جميع الأسقام، واللذةُ التي من لم يظفر بها فعيشهُ كله همومٌ وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحملُ أَثْقَالَ السائرين إلى بلادٍ لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدًا واصليها، وهي تُبوئهم من مقاعد الصِّدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مسراها على ظُهورها دائمًا إلى الحبيب، وطريقُهم الأقومُ التي يبلغهم منازلهم الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة ؛ إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب. [تهذيب مدارج السالكين ص٤٥٣ منزلة المحبة].

فالسعيدُ الموفق: من اقتفى أثر رسول الله £ في أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته، وكيف لا؟ ونبينا £ هو المبلغ للكتاب الناطقُ بالحق والصواب: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى» [النجم: ٣].

قال الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ» [الأحزاب: ٢١].

فالواجب علينا: اتباعه في جميع أقواله وأفعاله والتأسي به في سائر أحواله، امتثالاً لأمر الله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» [الحشر: ٧].

والشرُّ في مخالفة سنته، وما أخبثَ رجلاً ترك سبيل السنة الشارحة للكتاب، واستبدلها بما يوصل للعذاب.

قال الله تعالى: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣].

«يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ» [الأحزاب: ٦٦].

«يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» [الأحزاب: ٣٦].

«وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» [النساء: ١٤].

وقد أخبر رسول الله £ أن طاعته من موجبات دخول الجنة، وأن معصيته من موجبات دخول النار.

فقال £ : «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». [البخاري: ٧٢٨٠].

وأخبر £ أن التوبة محجوبة عن صاحب البدعة حتى يدع بدعته:

فقال £ : «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته». [صحيح الجامع: ١٦٩٥].

وأخبر £ أن الذين أحدثوا في دين الله ما ليس منه أنهم يمنعون من الشرب من حوضه.

فقال £ : «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله تعالى حُفاة عُراة غُرْلاً، «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ» [الأنبياء: ١٠٣]، ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم £ ، ألا وإنَّهُ سيجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ» إلى قوله: «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [المائدة: ١١٧، ١١٨]. فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». [صحيح الجامع: ٧٨٧٠].

«ذاتَ الشِّمال» أي: جهة النار.

وقال ﷺ : «يرد عليَّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابي، فَيُجْلَوْن عن الحوض، فأقول: أي رب ! أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى». [البخاري: ٨ / ١٥٠].

ومما يؤسى له: أن بعض الناس - هداهم الله - أحدثوا في دين الله ما لم يأذن به الله، ويعظم الأمر حين يتخذون ذلك دينًا يدعون أنه يقربهم إلى الله، ويزعمون أنه من محبة رسوله ﷺ ، ويرمون كل من خالفهم ببغض الرسول ﷺ ، وكراهية أوليائه الصالحين، وهذا من اتخاذ دين الله هزوًا ولعبًا، فالعبادات توقيفية، وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لا بالأهواء والآراء.

قال ﷺ : «لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك». [صحيح الترغيب: ٥٩].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

وفي «سنن أبي داود» عن حذيفة رضي الله عنه قال: كلُّ عبادةٍ لم يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبَّدوها، فإن الأول لم يدعْ للآخر مقالاً.

وقال ابن الماجشون: سمعتُ مالكًا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة ؛ لأن الله يقول: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣].

فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا.

وعن الأوزاعي عن حسان قال: ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثمَّ لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة.

فاتقوا الله - عباد الله - والزموا سنة نبيكم ﷺ ، وإياكم والبدع ومُحدثات الأمور ومستحسنات العقول.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلامُ عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا»، قالوا: يا رسول الله، أوَلَسنا إخوانك؟ قال: «بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد». قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيل غُرٌّ مُحجلة، بين ظهري خيل دُهمٌ بُهمٌ، ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى، قال: «فإنهم يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادَنَّ رجالٌ عن حوضي كما يُذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، ألا هلم!» فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك، فأقول: «سحقًا، فسحقًا، فسحقًا». [صحيح الجامع: ٣٦٩٨].

معنى «سحقًا»: أي بُعدًا.

أخي الكريم: لا تبرر الابتداع بأنه إضافة إلى الخير، أو أنه قد يعين على الخير، فالرسول الكريم ﷺ لم يترك شيئًا إلا وبينه!

عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال لابن مسعود رضي الله عنه: إني رأيت في المسجد قومًا حلَقًا ينتظرون الصلاة، في كلِّ حلقةٍ رجلٌ، وفي أيديهم حصى، فيقولُ: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟

ثم أتى حلقةً من تلك الحلق فوقفَ عليهم، فقال: ما الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعدُّ به التكبيرَ والتهليلَ والتسبيح .

قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمةَ محمد، ما أسرع هَلَكَتكم، هؤلاء أصحابُه متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، والذي نفسي بيده أنتم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالةٍ؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخيرَ.

قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه. [أخرجه الدارمي ١ / ٦٠].

ورُوي أن رجلاً قال لمالك بن أنس: من أين أُحرم؟ قال: من حيثُ أحرم رسول الله ﷺ . قال الرجل: فإن أحرمتُ من أبعدَ منه؟

قال: فلا تفعل، فإني أخاف عليك الفتنة. قال: وأي فتنةٍ في ازدياد الخير؟

فقال مالك: فإنَّ الله تعالى يقول: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣].

وأي فتنة أعظمُ من أن ترى أنك خُصِصتَ بفضلٍ لم يخصَّ به رسول الله £ ؟!

قال الله تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [الأنعام: ١٥٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض». [صحيح الجامع: ٢٩٣٧].

فمن تمسك بالكتاب والسنة فقد اهتدى، ومن أعرض عنهما فقد غوى واتبع الهوى.

يقول الله عز وجل: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [القصص: ٥٠].

لقد حصرتْ الآية الكريمة الحكمَ في أمرين لا ثالث لهما: إما الاستجابة للمصطفى £ ، وإما اتباعُ الهوى.

ولقد حكم الله تعالى على متبعي الهوى بالضلال.

قال تعالى: «أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

وقال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» [الجاثية: ٢٣].

قال بعض السلف: من أمَّرَ السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمرَّ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، لقوله تعالى: «وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» [النور: ٥٤].

وقد حكى الله تعالى عن المنافقين الظالمين، فقال سبحانه: «وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [النور: ٤٨ - ٥٠].

عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله £ موعظةً بليغةً، وجلت منها القلوبُ، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ بدعة ضلالة». [صحيح الجامع: ٢٥٤٩].

كتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى عدي بن أرطأة: أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه £ ، وترك ما أحدثَ المُحدثون فيما جرتْ به سنة، فعليك بلزوم السنة، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزللِ والحمق والتحمق، فارضَ لنفسك بما رضي به القومُ لأنفسهم، فإنهم على علمٍ وقفوا، وببصرٍ ناقدٍ كفُّوا، وهم كانوا على كشف الأمورِ أقوى، وبفضل كانوا فيه أحرى، إنهم هم السابقون، تكلَّموا بما يكفي، ووصفوا ما يشفي، فما دونهم مُقصِّرٌ، وما فوقهم مُحسِّرٌ، لقد قصَّرَ فيهم قوم فجفَوْا، وتجاوز آخرون فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم. [أخرجه أبو داود: ٤ / ٢٠٢، ٢٠٣].

وعليه، يتبين مما سبق أن العبادة أيًا كانت فعلية أو قولية لا تسمى عبادة ولا تكون نافعة إلا إذا صدرت من مؤمن، وتوفَّر فيها الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله £ ، قال الله تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» [النساء: ١٢٥].

وإن حب الله لا ينال إلا باتباع سنة نبيه £ ، فاحرص إذن على اتباع سنته £ كل الحرص، وأنفق في سبيل ذلك ما تستطيع.

وختامًا: فاعلم أن البدع كلها مردودة ليس منها شيء مقبول، وكلها قبيحة ليس فيها حسن، وكلها ضلال ليس فيها هدى، وكلها أوزار ليس فيها أجر، وكلها باطل ليس فيها حق.

وللحديث بقية إن شاء الله.



زيارة القبور بين المشروع والممنوع

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد جاءت الشريعة بصيانة جناب التوحيد وحفظه من آثار الشرك وأضراره، ففي بادئ الأمر نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور، والنهي عام للرجال والنساء، وذلك سدًا للذريعة؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يتسخطون على اقدار الله عند المصيبة، وكانوا يقولون منكرًا من القول وزورًا.

ولهذا منع الرسول ﷺ أصحابه من زيارة القبور لقرب عهدهم بالجاهلية، وخشية الفتنة بها، كما افتتن بها أهل الكتابين من اليهود والنصارى، وعظموا القبور حتى عبدت من دون الله، ولما تمكن الإيمان في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم، واستقرت عقيدة التوحيد في نفوسهم، وتعلقت قلوبهم بالله وحده، أذن لهم رسول الله ﷺ بالزيارة الشرعية للقبور.

فعن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها». رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور. رواه ابن ماجه. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرًا». أخرجه الحاكم، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٢٩).

«في الأحاديث المتقدمة جواز النسخ في الشريعة الإسلامية، فقد حرم رسول الله ﷺ زيارة القبور أول الأمر ؛ لقرب عهد الناس بالجاهلية، وما كان فيها من وثنية، وما كانوا يفعلونه عند القبور من نياحة، وغير ذلك مما حرمه الإسلام، ثم نسخ التحريم بعد أن اتضحت عقيدة التوحيد، ورسخت قواعد الإسلام، واستبانت أحكامه، وعلى المؤمن أن يذكر نفسه بالموت وأنه سيكون في عداد الموتى إن عاجلاً أو آجلاً ومن المأثور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كفى بالموت واعظًا يا عمر».» [نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ١/٤٢٥]. قال ابن القيم - رحمه الله -: «وكان رسول الله ﷺ قد نهى عن زيارة القبور سدًا للذريعة ؛ فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هجرًا ؛ فمن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله ؛ فإن زيارته غير مأذون فيها، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولاً وفعلاً».



أنواع الزيارة

النوع الأول: قال ابن تيمية - رحمه الله -: إن الزيارة إذا تضمنت أمرًا محرمًا من شرك أو كذب أو ندب أو نياحة أو قول هجر فهي محرمة بالإجماع، كحال الذين يعظمون القبور ويطوفون حولها ويذبحون لها ويقدمون القرابين، ويسألون الميت حاجتهم، أو يسألون الله به، كأن يقول: أسألك بحق فلان، أو بجاه فلان.إلى غير ذلك من الضلالات والبدع.

والنوع الثاني: زيارة القبور لمجرد الحزن على الميت لقرابته أو صداقته فهذه مباحة، كما يباح البكاء على الميت بلا ندب ولا نياحة، كما زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله وقال: «زوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة».

ثم قال: «فهذه الزيارة قد نهى عنها لما كانوا يفعلون فيها من المنكر، فلما عرفوا الإسلام أذن فيها ؛ لأن فيها مصلحة، وهي تذكر الموت، فكثير من الناس إذا رأى قريبه وهو مقبور ذكر الموت واستعد للآخرة، وقد يحصل منه جزع، فيتعارض الأمران ونفس الجنس مباح، إن قصد به طاعة كان طاعة، وإن عمل معصية كان معصية.

وأما النوع الثالث: فهو زيارتها للدعاء للموتى والسلام عليهم، كما كان يفعل النبي ﷺ حينما كان يخرج إلى البقيع فيدعو لهم ويسلم عليهم، فهذا هو المستحب الذي دلت السنة على استحبابه ؛ لأن النبي ﷺ فعله، وكان يعلِّم أصحابه ما يقولون إذا زاروا القبور. اهـ. (الجواب الباهر (٢٣٧/٢٣٦) بتصرف).

ومن ذلك: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، إنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية». [رواه مسلم].

المحظور فعله عند القبور:

١- البناء عليها وتجصيصها:

عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه». رواه مسلم.

وقد أمرنا بهدم ما بني عليها من مشاهد وقباب وأضرحة، فعن أبي الهياج الأسدي قال: «قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته». رواه أحمد ومسلم.

٢- الكتابة على القبر والجلوس عليه:

عن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ. رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.

وقال رسول الله ﷺ: «لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر». رواه مسلم وأبو داود.

٣- الذبح عند القبور:

يحرم الذبح عند القبور وهو من عادات الجاهلية، كما كانت تفعل عند قبور موتاهم فيذبحون من البقر والغنم، وجاء الإسلام فحرم الذبح لغير الله تعالى سواء كان الذبح للقبور أو للجان أو للمشايخ الذين يدعون الولاية والكرامة كذبًا وزورًا، وكل ذبح لتعظيم غير الله أو الخوف من مخلوق أو لجلب خير أو دفع ضر كما يفعله عباد القبور فهو شرك أكبر فاعله مرتد عن الإسلام وذبيحته ميتة لا تؤكل، ولا تزال رواسب الجاهلية ومخلفاتها في نفوس الكثير من الناس ؛ لفرط جهلهم بالملة الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا عقر في الإسلام». رواه مسلم وأبو داود.

وقال عبد الرزاق: «كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة». (نيل الأوطار ج٤ / ٩٧). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره قد علمنا يقينًا أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام، فهو من الشرك الذي أحدثوه». (اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٥٦).

قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ

المفتي يصرح: الطواف حول الأضرحة والتوسل بها، وتقبيل المقصورة والأعتاب، والتوسل بالأولياء، وطلب الشفاعة منهم حرام قطعًا، ومناف للشريعة، وفيه إشراك بالله تعالى لأن أصل الدعوة يقوم على التوحيد والإسلام يحارب جاهدًا كل ما يقرب الإنسان من مزالق الشرك



﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قال ابن كثير في تفسيره: «يأمره الله تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، أي أخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم».

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات قال: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غير منار الأرض». رواه مسلم (١٢٦١).

٤- شد الرحال إليها:

عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا». رواه البخاري ومسلم.

فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر والاعتكاف من الأعمال الصالحة، وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم.

قال ابن تيمية: وقد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم واستزلهم عن إخلاص الدين لربهم إلى أنواع من الشرك. فيقصدون بالسفر والزيارة رضا غير الله، والرغبة إلى غيره، ويشدون الرحال إما إلى قبر نبي أو عبد صالح، داعين له راغبين إليه، ومنهم من يظن أن المقصود من الحج هو هذا فلا يستشعر إلا قصد قبر النبي ﷺ. ومنهم من يرى أن ذلك أنفع له من حج البيت، ومن شيوخهم من يقصد حج البيت فإذا وصل إلى المدينة رجع مكتفيًا بزيارة القبر وظن أن هذا أبلغ. «اقتضاء الصراط المستقيم» (٤٥٧).

قال ابن القيم: وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا سماه «مناسك حج المشاهد» - مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام. «إغاثة اللهفان» (١/٢١٦).

قال الشيخ عبد الله التميمي: «ومن هؤلاء - عباد القبور - من يرجح الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت، ومنهم من يرجح الحج إلى البيت، لكن يقول أحدهم: إنك إذا زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثًا كان كحجة، ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إليها وقت الموسم، يعرِّفون كما يعرِّف المسلمون بعرفات، ومنهم من يجعل السفر إلى المشهد والقبر الذي يعظمه أفضل من الحج... وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين، فليسوا على ملة إمام الحنفاء... إلى أن قال: وآخرون قد جعلوا الميت: بمنزلة الإله والشيخ الحي كالنبي، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الشيخ الحي فالحلال ما حلَّله والحرام ما حرمه». «رسالة الكلمات النافعة» (٥٨- ٥٩).

٥- اتخاذ القبور أعيادًا:

وذلك بأن تقصد في أوقات معينة، ومواسم معروفة للتعبد عندها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». رواه أبو داود وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٢٦).

ووجه الدلالة: أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدًا ؛ فقبر غيره أولى بالنهي كائنًا من كان، ثم إنه قرن ذلك بقوله: ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا، أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور ؛ فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور». «الاقتضاء» (٢/٦٦٢).

قال ابن القيم - رحمه الله -: إن في اتخاذ القبور أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالى، وغيرة على التوحيد، وتحذير وتقبيح للشرك. «إغاثة اللهفان» (ص٢١٢).

وقال في فيض القدير: «معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد إما لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم، وقيل العيد ما يعاد إليه أي: لا تجعلوا قبري عيدًا تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا عليَّ، فظاهره النهي عن المعاودة، والمراد المنع عما يوجبه، وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه»، وقال: ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة، ويقولون هذا مولد الشيخ ويأكلون ويشربون، وربما يرقصون فيه منهي عنه شرعًا، وعلى ولي الشرع ردعهم على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله». «فيض القدير» (٤ / ٢٦٣).

مفاسد اتخاذ القبور أعيادًا:

قال ابن القيم: فمن مفاسد اتخاذ القبور أعيادًا: الصلاة إليها والطواف بها، وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفان وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عبّاد الأوثان يسألونها أوثانهم. «إغاثة اللهفان» (٣١٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: ومن أعظم الشرك أن

يستغيث الإنسان بميت أو غائب، ويستغيث به عند المصائب، يقول: يا سيدي، كأن يطلب منه إزالة ضره أو جلب نفعه، وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم... إلى أن قال: وهؤلاء المشركون يضمون إلى الشرك الكذب، فإن الكذب مقرون بالشرك، وقد قال تعالى: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ» [النساء: ١٧١]. (مجموع الفتاوى ٢٧ / ٨١).

٦- إيقاد السرج عندها:

ويحرم تسريج القبور وإنارتها بالشموع وغيرها؛ للنهي الصريح عن ذلك، ولما فيه من إضاعة المال وإنفاقه في الحرام طاعة للشيطان، كما فيه أيضًا تشبه بالمجوس عباد النار.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». رواه أحمد والترمذي، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٠٣٠).

قال ابن القيم: قال أبو محمد المقدسي: ولو أبيح اتخاذ السرج على القبور لم يلعن النبي ﷺ من فعله. ولأن فيه تضييعًا للمال بدون فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام. «إغاثة اللهفان» (ص٢١٥ / ج١).

قال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ: قال محمد بن إسماعيل الصنعاني: فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، فقد شيد على القبور البناء وسرجت عليها الشموع وأرخيت عليها الستور فيعتقد أن ذلك لجلب خير أو لدفع ضر.

وتأتي سدنة القبور ويكذبون على الميت بأنه فعل وفعل وأنزل بفلان الضرر وبفلان النفع... إلى غير ذلك من الأباطيل والخرافات. «فتح المجيد» (ص٢٥٧) بتحقيق العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز.

٧- الطواف حول القبور والتوسل بالمقبور

الطواف عبادة لا تجوز ولا تشرع إلا بالبيت العتيق باتفاق المسلمين، قال تعالى: «وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» [الحج: ٢٩]، وقال رسول الله ﷺ: «من طاف بالبيت سبعًا، وصلى ركعتين، كان كعتق رقبة» (صحيح الجامع: ٦٣٧٩).

قال الشيخ علي محفوظ (من كبار علماء الأزهر) في «الإبداع» (ص١٧٤): «ومن البدع السيئة الطواف حول الأضرحة، فإنه لم يعهد عبادة إلا بالبيت، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود».

وقد سُئل فضيلة الشيخ حسن مأمون، مفتي الديار المصرية سؤالاً حول الطواف بالأضرحة والتوسل بها، نشرته مجلة الإذاعة المصرية سنة (١٩٥٧م) هذا نصه: ما حكم الشرع في زيارة الأضرحة (أضرحة الأولياء)، والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء.

الجواب: أود أن أذكر أولاً: أن أصل الدعوة الإسلامية يقوم على التوحيد، والإسلام يحارب جاهداً كل ما يقرب الإنسان من مزالق الشرك بالله، ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى، أحد هذه المزالق، وهي رواسب جاهلية، فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما نعى عليهم الرسول ﷺ عبادتهم للأصنام، قالوا له: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»، فهي نفس الحجة التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله، أو التقرب منه، ومن مظاهر هذه الزيارات ؛ أفعال تتنافى كلية مع عبادات إسلامية ثابتة، فالطواف في الإسلام لم يشرع إلا حول الكعبة، وكل طواف حول أي مكان آخر، حرام شرعًا، والتقبيل في الإسلام لم يسن إلا للحجر الأسود، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر رضي الله عنه وهو يقبله: «والله لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما فعلت». فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح، أو أي مكان به حرام قطعًا.

وتأتي بعد ذلك الشفاعة، وهذه في الآخرة غيرها في الدنيا، فالشفاعة ارتبطت في أذهاننا بما يحدث في هذه الحياة من توسط إنسان لآخر أخطأ عند رئيسه، وبيده أمره، يطلب إليه أن يغفر له هذا الخطأ، وإن كان هذا المخطئ لا يستحق العفو والمغفرة، غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدد طريق الشفاعة في الآخرة، فهذه الشفاعة لن تكون إلا لمن يرتضي الله لهم أن يشفعوا، لأشخاص يستحقون هذه الشفاعة، وهؤلاء أيضًا يحددهم الله.

إذن فكل هذا متعلق بإذن الله وحكمه، فإذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أي إنسان، فإن هذا عبث ؛ لأننا لا نستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة ومن يشفعهم فيهم.

وعلى ذلك يتضح أن كل زيارة للأضرحة والطواف حولها والتوسل بها، وتقبيل المقصورة والأعتاب، والتوسل بالأولياء، وطلب الشفاعة منهم ؛ حرام قطعًا، ومنافٍ للشريعة، وفيه إشراك بالله تعالى.

٨- اتخاذ القبور مساجد

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اشتكى النبي ﷺ ذكرت بعض نسائه كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله». رواه البخاري.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد». رواه أحمد.

إن من يتأمل في تلك الأحاديث

الكريمة، يظهر له بصورة لا شك فيها، أن الاتخاذ المذكور حرام، بل كبيرة من الكبائر، لأن اللعن الوارد فيها ووصف المخالفين بأنهم شرار الخلق عند الله لا يمكن أن يكون في حق من لم يرتكب ما ليس بكبيرة، وقد اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم ذلك، ومنهم من صرح بأنه كبيرة». (تحذير الساجد ص٣٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله £ قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - يحذر ما صنعوا». رواه البخاري ومسلم.

قال ابن حجر: وكأنه £ علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى فلعن اليهود والنصارى ؛ إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم، قوله: «يحذر ما صنعوا». جملة مستأنفة من كلام الراوي. (فتح الباري ص٥٣٢).

قال الألباني رحمه الله: «والاتخاذ المذكور في الأحاديث المتقدمة يشمل عدة أمور:

١- الصلاة إلى القبور مستقبلاً لها.

٢- السجود على القبور.

٣- بناء المساجد عليها».

٩- الصلاة على القبور وإليها:

عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها». رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله £ نهى أن يبنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها. رواه أبو يعلى في مسنده بسند صحيح.

وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي £ نهى عن الصلاة بين القبور. [رواه البزار وصححه الألباني].

قال شيخ الإسلام في الاختيارات ص٤٤: «ولا تصح الصلاة في المقبرة ولا إليها والنهي عن ذلك لسد ذريعة الشرك». وقال: قال أصحابنا: وكل ما دخل في اسم المقبرة مما حول القبور لا يصلى فيه، فهذا ينبني على أن المنع يكون بتحريم الصلاة عند القبر وفنائه المضاف إليه.

حكم الصلاة في المساجد المبنية على القبور

وتجدر الإشارة إلى بيان حكم هذه المسألة التي كثر السؤال عنها والتبس أمرها على كثير من الناس، فإليك بيانها من أقوال أهل العلم المعتبرين:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: اتفق الأئمة أنه لا يبنى مسجد على قبر ؛ لأن النبي £ قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك». رواه مسلم.

وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإذا كان المسجد قبل الدفن غيِّر، إما بتسوية القبر، وإما بنبشه إن كان جديدًا، وإن كان المسجد بني بعد القبر: فإما أن يزال المسجد، وإما أن تزال صورة القبر، فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل، فإنه منهي عنه». (الفتاوى ٢٢ / ١٩٤، ١٩٥).

وقال الشيخ ابن باز - رحمه الله -: «المساجد التي فيها قبور لا يصلى فيها، ويجب أن تنبش القبور وينقل رفاتها إلى المقابر العامة، كل قبر في حفرة كسائر القبور، ولا يجوز أن يبقى فيها قبور لا قبر ولي ولا غيره ؛ لأن الرسول £ نهى وحذر وذم اليهود والنصارى على عملهم ذلك». (فتاوى ابن باز ٢ / ٧٥٩، ٧٦٠).

وقال الشيخ الألباني - رحمه الله -: «أما شمول الأحاديث للنهي عن الصلاة في المساجد المبنية على القبور، فدلالتها على ذلك أوضح، وذلك لأن النهي عن بناء المساجد على القبور يستلزم النهي عن الصلاة فيها، من باب النهي عن الوسيلة، يستلزم النهي عن المقصود بها، والمتوصل بها إليه، مثاله إذا نهى الشارع عن بيع الخمر، فالنهي عن شربه داخل في ذلك كما لا يخفى، بل النهي عنه من باب أولى.

ومن البين جدًا أن النهي عن بناء المساجد على القبور ليس مقصودًا بالذات، كما أن الأمر ببناء المساجد في الدور والمحلات ليس مقصودًا بالذات، بل ذلك كله من أجل الصلاة فيها سلبًا أو إيجابًا، يوضح ذلك المثال الآتي: لو أن رجلاً بنى مسجدًا في مكان قفر غير مأهول، ولا يأتيه أحد للصلاة فيه فليس لهذا الرجل أي أجر في بنائه لهذا المسجد، بل هو عندي آثم لإضاعته المال، ووضعه الشيء في غير محله.

فإذا أمر الشارع ببناء المساجد، فهو يأمر ضمنًا بالصلاة فيها ؛ لأنها هي المقصود بالبناء، وكذلك إذا نهى عن بناء المساجد على القبور فهو ينهى عن الصلاة فيها ؛ لأنها هي المقصودة بالبناء أيضًا، وهذا بيّن لا يخفى على العاقل إن شاء الله تعالى. «تحذير الساجد» (ص٣٠، ٣١).

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - في «إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد» (١ / ٢٧٨): في الحديث دليل على بطلان الصلاة عند القبور، أو في المساجد المبنية على القبور، لأن الرسول £ نهى عن ذلك، والنهي يقتضي الفساد عند الأصوليين، فالذي يصلي عند القبر صلاته غير صحيحة، فعليه أن يعيد الفريضة، لأن صلاته عند القبر أو في المسجد المبني عليه القبر غير صحيحة، لأنها صلاة منهي عنها، والصلاة المنهي عنها غير مشروعة، فهي لا تصح.

والله من وراء القصد.

الحلقة الأخيرة

أحكام الربا

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله، الذي أحل البيع وحرم الربا، والصلاة والسلام على أشرف النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد تحدثنا في العدد الماضي عن معنى الربا، والفرق بين الربا والربح والأجر، وكذلك القروض بأنواعها، وفي هذا العدد نتحدث - بعون الله تعالى - عن:

قواعد هامة لتجنب الربا المحرم

هناك قواعد هامة يجب على المسلم أن يكون على علم بها لكي يتجنب الوقوع في الربا المحرم وهي كما يلي:

القاعدة الأولى: إذا اتفق البدلان في الجنس والعلة (الثمنية والمطعومية مع الادخار) حرم التفاضل (أي الزيادة) وحرم النسيئة (أي تأجيل التقابض). [المغني ٦/٥٣].

فائدة هامة: المقصود بالجنس: هو الشامل لأشياء مختلفة بأنواعها، فكل نوعين اجتمعا في اسم خاص، فهما جنس واحد، كأنواع التمر وأنواع الحنطة، فالتمور كلها جنس واحد ؛ لأن الاسم الخاص يجمعها، وهو التمر، وإن كثرت أنواعه. [المغني ٦/٧٦].

ولتوضيح هذه القاعدة الأولى: أقول: إذا بيع ذهب بذهب أو فضة بفضة، أو قمح بقمح، فإنه يُشترط لصحة هذا البيع شرطان:

الشرط الأول: التساوي في الوزن أو الكمية بصرف النظر عن الجودة والرداءة.

الشرط الثاني: التقابض في نفس المجلس، بمعنى آخر أنه يحرم تأجيل أحد البدلين، وذلك بدليل ما يلي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا - أي: لا تزيدوا - بعضها على بعضٍ ولا تبيعوا الوَرِقَ - أي: الفضة - بالورق، إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز» أي: حاضر. (البخاري: ح٢١٧٧، ومسلم: ح١٥٨٤).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الذهب بالذهب ربًا، إلا هَاءَ وهَاءَ - أي: خذ وهات-، والبُرُّ بالبُرِّ ربًا إلاَّ هَاءَ وَهَاءَ، والتَّمْرُ بالتَّمْرِ ربًا إلاَّ هَاءَ وَهَاءَ، والشعيرُ بالشعيرِ ربًا إلا هَاءَ وَهَاءَ». (البخاري: ح٢١٧٤، ومسلم: ح١٥٨٦).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء بلال إلى النبي ﷺ بتمرٍ بَرْنيٍّ، فقال النبي ﷺ: «من أين هذا ؟» قال بلال: كان عندنا تمرٌ رديءٌ فبعتُ منه صاعين بصاع لنطعم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ عند ذلك: «أَوَّهْ أَوَّهْ، عينُ الربا، عينُ الربا، لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيعٍ آخر، ثم اشْتَرِ به». (البخاري: ح٢٣١٢، ومسلم: ح١٥٩٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب وزنًا بوزن مثلاً بمثل، والفضة بالفضة وزنًا بوزن مثلاً

ح٨٤).

القاعدة الثانية:

إذا اختلف البدلان ي الجنس واتحدا في العلة (الثمنية أو المطعومية مع الادخار) جاز التفاضل، أي الزيادة، وحرم النساء، أي: تأجيل التقابض. (المغني لابن قدامة ٦ / ٦١، وفقه السنة ٤ / ٨٠) .

فإذا بيع ذهب بفضة أو قمح بشعير جازت الزيادة بشرط أن يتم التقابض في نفس الجلسة، وذلك لما روى مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال رسول الله #: «الذَّهَب بالذَّهَبِ والفضة بالفضة، والبُرُّ بالبرِّ، والشعيرُ بالشعيرِ، والتمرُ بالتمرِ، والملحُ بالملحِ مثلاً بمثلٍ، سواءً بسواءٍ يَدًا بيدٍ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيدٍ». (ح: ٨١).

القاعدة الثالثة:

إذا اختلف البلدان في الجنس والعلة (الثمنية أو المطعومية مع الادخار) جاز التفاضل، أي: الزيادة، والنسيئة، أي: تأجيل التقابض. (مسلم بشرح النووي ٦/١٤، وفقه السنة ٤/٨١).

فإذا بيع قمح أو شعير أو تمر أو طعام بفضة جاز التفاضل، أي: الزيادة، وجازت النسيئة (أي: تأجيل التقابض)، وذلك لما يلي:

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي £ اشترى طعامًا من يهوديٍّ إلى أجل، فرهنه درعه. (البخاري ح٢٢٠٠).

قال النووي: أجمع العلماء على جواز بيع الربوي بربوي لا يُشاركه في العلة متفاضلاً ومؤجلاً، وذلك كبيع الذهب بالحنطة، وبيع الفضة بالشعير وغيره من المكيل. (مسلم بشرح النووي ج٦ ص١٤).

بيع العينة

المقصود ببيع العينة هو أن يبيع المسلم شيئًا ما بثمن محدد إلى أجل مسمى إلى شخص ما ويسلمها إليه ثم يشتريه البائع من نفس المشتري قبل قبض الثمن المؤجل بثمن نقدًا أقل من الثمن المؤجل، وسميت بالعينة لأن البائع يشتري نفس العين التي باعها. (نيل الأوطار للشوكاني ٥/٢٩٤).

وهذا البيع حرام لأنه ذريعة إلى الربا وإن كان في صورته بيع وشراء.

عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله £ يقول: «إذا تبايعتم بالعِينَةِ وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزَّرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». (صحيح أبي داود ح٢٩٥٦).

البيع بالتقسيط

يجوز بيع سلعة بالتقسيط مع الزيادة في ثمن السلعة عن ثمنها الحال مقابل الزيادة في الأجل. (فتاوى دار الإفتاء المصرية جـ٦ رقم ١٠١٣ ص٢٣٤١- ٢٣٤٤، وفتوى مجمع الفقه بمنظمة المؤتمر الإسلامي رقم ٥٣/٢/٦ لعام ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

بيع وشراء الذهب والفضة

إن الكثيرين من المسلمين قد يقعون في الربا المحرم عند بيع وشراء الذهب والفضة، وذلك لعدم معرفتهم بأحكام الربا، ولذا سوف أوضح بعض الأمور الهامة التي يجب على المسلم أن يكون على معرفة بها عند بيع وشراء الذهب والفضة، فأقول وبالله التوفيق:

لا يجوز استبدال الذهب أو الفضة المستعمل - القديم - بحلي مثله جديد مع دفع فرق الصنعة، وذلك لما يلي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا - أي: لا تزيدوا، بعضها على بعض -، ولا تبيعوا الوَرِقَ - أي: الفضة بالورق إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز». أي: حاضر. (البخاري: ح٢١٧٧، ومسلم ح١٥٨٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الوَرِق بالوَرِق، إلا وزنًا بوزن، مثلاً بمثل، سواءً بسواء». (مسلم: ح٧٧).

أقوال العلماء

سوف أذكر أقوال العلماء في تحريم

استبدال حُلي الذهب أو الفضة بحلي مثله جديد مع إعطاء الصائغ فرق الصنعة.

١- قال النووي رحمه الله: قوله £ : «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الورِق بالورِق، إلا سواء بسواء». قال العلماء: هذا يتناول جميع أنواع الذهب والورِق من جَيِّد ورديء، وصحيح ومكسور، وحلي وتبر، وغير ذلك، سواء الخالص والمخلوط بغيره، وهذا كله مجمع عليه. (صحيح مسلم بشرح النووي ج١٤/٦).

٢- قال البغوي رحمه الله بعد أن ذكر هذا الحديث: «لا تبيعوا الذهب بالذهب»: وفي الحديث دليل على أنه لو باع حُليًا من ذهب بذهب لا يجوز إلا متساويين في الوزن، ولا يجوز طلب الفضل (أي: طلب زيادة) للصنعة لأنه يكون بيع ذهب بذهب مع الفضل. (شرح السنة للبغوي ج٨/ص٦٥).

٣- قال ابن حجر رحمه الله: قوله £ : «الذهب بالذهب» دخل في الذهب جميع أصنافه من مضروبٍ ومنقوشٍ وجيدٍ ورديءٍ وصحيحٍ ومكسرٍ وحليٍ وتِبْرٍ وخَالص ومغشوش. (فتح الباري لابن حجر ج٤ ص٤٤٥).

٤- قال القرطبي رحمه الله: والفضة البيضاء والسوداء والذهب الأحمر والأصفر كل ذلك لا يجوز بيع بعضه ببعض إلا مثلاً بمثل سواء بسواء على كل حال. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٣ ص٣٥١).

٥- قال ابن قدامة رحمه الله: والجيد والرديء، والتبر والمضروبُ، والصحيح والمكسور، سواءً في جواز البيع مع التماثل، وتحريمه مع التفاضل. وهذا قول أكثر أهل العلم، منهم ؛ أبو حنيفة، والشافعي. (المغني لابن قدامة ج٦ ص٦٠).

روى أبو داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «الذهب بالذهب تبرها وعينها، والفضة بالفضة تبرها وعينها، والبُرُّ بالبر مدي بمدي والشعير بالشعير مديٌ بمدي، والتمر بالتمر مُدْيٌ بمدي، والملح بالملح مُديٌ بمُدْي، فمن زاد أو ازداد فقد أربى». (صحيح أبي داود: ح٢٨٦٤).

فائدة هامة

قال الخطابي: التبر: قطع الذهب والفضة قبل أن تضرب وتطبع دراهم ودنانير، واحدتها تبرة. والعين: المضروب من الدراهم والدنانير. (معالم السنن للخطابي ج٣ ص٥٩).

٦- قال ابن عبد البر رحمه الله: أجمع العلماء على أن الذهب وعينه سواء لا يجوز التفاضل في شيء منه، وكذلك الفضة، تبرها وعينها، ومصنوع ذلك كله ومضروبه، لا يحل التفاضل في شيء منه. (الاستذكار لابن عبد البر ١٩ / ١٩٢ رقم ٢٨٧٠٢، ٢٨٧٠٣).

روى مالك عن حميد بن قيس المكي عن مجاهد أنه قال: كنت مع عبد الله بن عمر، فجاءه صائغ فقال له: يا أبا عبد الرحمن، إني أصوغُ الذهب ثم أبيع الشيء من ذلك بأكثر من وزنه، فأستفضل - أي: أخذ زيادة - من ذلك قدر عمل يدي فنهاه عبد الله عن ذلك، فجعل الصائغ يردد عليه المسألة وعبد الله ينهاه، حتى انتهى إلى باب المسجد أو إلى دابةٍ يريد أن يركبها، ثم قال عبد الله بن عمر: الدينار بالدينار، والدرهم بالدرهم، لا فضل بينهما، هذا عهد نبينا إلينا وعهدنا إليكم. (إسناده صحيح: موطأ مالك، كتاب البيوع ح٣١).

٧- قال الشنقيطي - رحمه الله -: لا يجوز بيع المصوغ من الذهب أو الفضة بجنسه بأكثر من وزنه، وذكر الأدلة على ذلك القول، ثم قال بعد ذلك: وهذه النصوص الصحيحة تدل على الصناعة الواقعة في الذهب أو الفضة لا أثر لها، ولا تبيح المفاضلة بقدر قيمة الصناعة كما ذكرنا، وهذا هو مذهب الحق الذي لا شك فيه. (أضواء البيان للشنقيطي ١/٢٢٣، ٢٢٤).

الطريقة الشرعية لبيع الحلي القديم وشراء الجديد:

من أراد أن يبيع حُليًا قديمًا ويشتري بدلاً منها حليًا جديدًا، يجب عليه أولاً أن يبيع الحلي القديم ويقبض ثمنه، ثم يشتري ما يريد من الذهب الجديد، سواء من هذا الصائغ الذي باع إليه أو من غيره، ولا يجوز أن يكون

بين البائع والمشتري مشارطة، بمعنى أنه يحرم على الصائغ أن يشترط شراء الذهب القديم على أن يشتري منه البائع ذهبًا جديدًا لأن ذلك في حكم البيعتين في بيعة وهذا النوع نهى عنه النبي £ .

تنبيهات هامة

١- بيع الذهب أو الفضة بالأجل محرم بإجماع علماء المسلمين؛ لأنه ربا نسيئة. (بيع وشراء الذهب لابن عثيمين ص١٠، ١١).

٢- لا يجوز للصائغ الاشتراط على من يبيع له الذهب المستعمل أن يشتري منه ذهبًا جديدًا لان ذلك حيلة على بيع الذهب بالذهب مع الزيادة، وهذا ربا محرم. (بيع وشراء الذهب لابن عثيمين ص١٠، ١١).

٣- كل قرض نقدي جَرَّ نفعًا مشروطًا فهو ربًا محرم. (السنن الكبرى للبيهقي ٥/٣٥٠).

٤- يجوز استبدال عُملة نقدية بعملة أخرى بدون اشتراط التساوي في الكمية، ولكن يُشترط أن يتم التقابض في نفس المجلس قبل الافتراق.

٥- يجب أن نطبق كل ما ثبت عن النبي £ في كيفية بيع الذهب والفضة وغيرهما تعبدًا لله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إشـــهـــار

تشهد مديرية التضامن الاجتماعي بالدقهلية بأنه قد تم قيد لائحة النظام الأساسي لجمعية أنصار السنة المحمدية بكفر الصلاحات م. بني عبيد - دقهلية برقم ١٧١٣ بتاريخ ٢٦ / ٤ / ٢٠٠٩ طبقًا للقانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجميعات والمؤسسات الأهلية واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

إعلان

مدرسة أهلية بالسعودية

تعلن عن حاجتها لمعلمين في التخصصات الآتية:

معلمين للصفوف (الأول، والثاني، والثالث) الابتدائي	معلمين للرياضيات
معلمين للغة العربية (ابتدائي، إعدادي، ثانوي)	معلمين للغة الإنجليزية
تربية رياضية (مدربين رياضيين)	معلمين للعلوم
تربية فنية (مؤهل تربوي) (رسام وخطاط)	فيزياء وكيمياء وأحياء
مرشد طلابي (أخصائي اجتماعي)	حاسب آلي

ترسل السيرة الذاتية وصور شخصية حديثة جدًا على العنوان التالي:
المملكة العربية السعودية - الدمام ص ب: ١٠٦٠٦ الرمز البريدي ٣١٤٤٣
للتواصل محمول ٠١٨٠٤٠٨٥٥٥ ابتداءً من ٢٧ / ٦



فضيلة الشيخ/ محمد صفوت نور الدين (رحمه الله)

يسر جماعة أنصار السنة المحمدية - فرع بلبيس - أن تعلن عن الحلقة السابعة من: مسابقة الشيخ محمد صفوت نور الدين - رحمه الله - في القرآن والسنة والعقيدة.

مستويات المسابقة

المستوى الأول

١- حفظ أربعة عشر جزءًا من أول القرآن إلى آخر سورة النحل مع التجويد.

٢- تفسير ربعين من أول سورة النحل إلى قوله تعالى: «وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» من كتب (القرطبي وابن كثير والسعدي).

٣- حفظ مائة حديث من التجريد الصريح من (٦٠١ - ٧٠٠) مع شرح أول عشرين حديثًا منها من فتح الباري لابن حجر.

٤- حفظ خمسين سؤالاً من كتاب «٢٠٠ سؤال في العقيدة» للشيخ حافظ الحكمي من (١٥١- ٢٠٠).

٥- الاستماع إلى شريط (تعدد زوجات النبي £ ضرورة رسالة) للشيخ صفوت نورالدين.

المستوى الثاني

١- حفظ سبعة أجزاء من قوله تعالى: «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ» إلى آخر القرآن الكريم مع التجويد.

٢- تفسير ربع «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» من كتب (القرطبي وابن كثير والسعدي).

٣- حفظ خمسين حديثًا من مختصر صحيح مسلم للمنذري من (٣٠١- ٣٥٠) مع شرح أول عشرة منها من شرح مسلم للنووي.

٤- حفظ ٢٥ سؤالاً من (٧٥-١٠٠) من كتاب «٢٠٠ سوال في العقيدة» للشيخ حافظ الحكمي.

٥- الاستماع إلى شريط (حب الصحابة) للشيخ صفوت نور الدين.

المستوى الثالث

١- حفظ عشرة أجزاء من قوله تعالى: «وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ» إلى آخر القرآن الكريم مع التجويد.

٢- حفظ خمسين حديثًا من رياض الصالحين من (٢٠١-٢٥٠).

٣- حفظ القصيدة المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة.

موعد المسابقة

يكون امتحان المستوى الأول يوم الثلاثاء ١٨ / ٨، والمستوى الثاني يوم الأربعاء ١٩ / ٨، والمستوى الثالث يوم الخميس ٢٠ / ٨، ويبدأ الامتحان الساعة الثامنة صباحًا بمجمع التوحيد ببلبيس.

الشـروط

١- أن لا يزيد عمر المتسابق في المستوى الأول عن ٣٥ عامًا، والثاني عن ٢٥ عامًا، والثالث عن ١٥ عامًا.

٢- يدفع المتسابق في المستوى الأول ١٥ جنيهًا، والثاني ١٠ جنيهات، والثالث ٥ جنيهات، كمصاريف إدارية للمسابقة، ولا تدخل فى الجوائز.

يتم الامتحان في جميع المواد تحريريًا للمستوى الأول والثاني ما عدا القرآن، وأما المستوى الثالث فيكون شفويًا.

٤- يتم التسجيل ودفع الاشتراكات بالمركز العام - الدور السابع - مجلة التوحيد ,أو بمجمع التوحيد ببلبيس، على أن يكون آخر موعد للتسجيل ودفع الاشتراكات يوم الخميس ٣٠ / ٧ / ٢٠٠٩ الموافق ٢٤ / ٧ / ١٤٣٠هـ، ولن تقبل أي أسماء بعد الموعد ,وسيتم تسليم نسخة من مقررات المسابقة لكل من يسجل على حسب مستواه.

٥- يتم إعلان النتيجة وتوزيع الجوائز في حفل كبير يقام يوم الجمعة ٦ شوال ١٤٣٠هـ الموافق ٢٥ / ٩ / ٢٠٠٩م بعد صلاة العصر بمسجد التوحيد ببلبيس.

والله الموفق.


الآن
سارع
بحجز نسختك من المجلد الجديد
موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة - ويحتاج إليها كل بيت
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٢٩
لعام ١٤٢٩ هـ
الآن أصبحت ٣٧ مجلدا من الموسوعة
والآن الكرتونة الكاملة من موسوعة مجلدات التوحيد فقط بـ٦٨٠ جنيها
وخارج مصر ٢٣٠ دولار